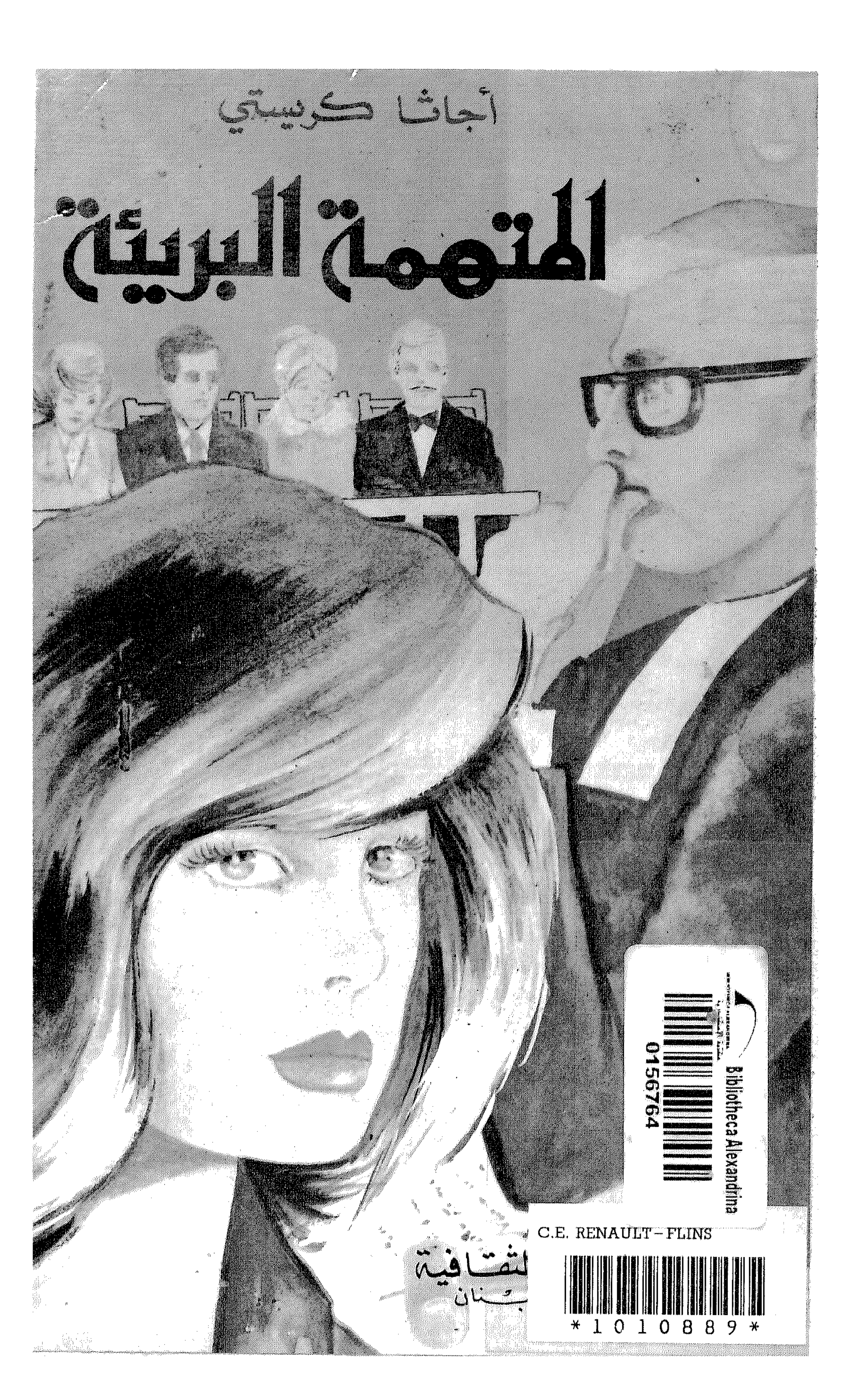

أجاثا كريستي
المتهمة البريئة
الثقافية
بنان

المتهمة البريئة

GIFTS OF 1996
BIBLIOTHEQUE
INTERUNIVERSITAIRE DES
LANGUES ORIENTALS
PARIS

أجاثا كريستي

المتهمة البريئة

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص.ب: ٨٧٣٢

المقدمة

« اليانور كاترين كارليسل .. أنت متهمة بقتل ماري جيرارد، في اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو الماضي ، فهل أنت مذنبة أو غير مذنبة ؟. »

ووقفت اليانور كارليسل منتصبة القامة وقد رفعت رأسها الجميل المتسم بالنبل . وكانت زرقاء العينين سوداء الشعر رفيعة الحاجبين .

ومرت فترة سكون . سكون ملحوظ.. وشعر محامي الدفاع سير أدوين بولمر بنوبة من اليأس . دفعته إلى التفكير .

— يا إلهي .. إنها ستعترف . لقد فقدت أعصابها ..

وانفرجت شفتا اليانور كارليسل لتقول :

— لست مذنبة .

وتهالك محامي الدفاع في مقعده ومر بمنديل على جبهته وقد دار بخلده انه نجا بأعجوبة من مأزق عصيب .

أما ممثل الاتهام سير صامويل آتينبري فقد نهض واقفاً وراح يسرد وقائع القضية قال :

« إذا سمحتم لي يا سيادة القاضي ويا حضرات المحلفين .. فانني أود أن أذكر لكم أنه في اليوم السابع والعشرين من شهر يوليو ، وفي الساعة الثالثة

والنصف مساء ، ماتت ماري جيرارد في هانتربري بمقاطعة ميدنز فورد .. »

ومضى صوته رتيباً له وقع محبب إلى الآذان حتى كاد يؤدي بالينور إلى حالة تقرب من عدم الشعور ولم يحتفظ عقلهـا الواعي إلا بجملة عريضة من التلخيص المبسط الدقيق الذي كان يلقيه ممثل الإدعاء .

« فالقضية تمتاز ببساطتها .. ومن واجب الإدعـاء أن يثبت الدافع إلى الجريمة ، فلا يوجد أحد ، حسب إدراكنا ، لديه أي دافع لقتـل تلك الفتاة المسكينة ماري جيرارد عدا المتهمة .. فالقتيلة فتاة ذات شخصية جذابـة محبوبة من الجميع وليس لها عدو واحد على وجه الأرض .. »

« .. وانني أود أن أوجه اهتمامكم إلى ما يلي :

١ — ما هي الإمكانيات والوسائل التي كانت لدى المتهمة لتسميم القتيلة ؟.

٢ — وأي دافع كان لديها للإقدام على ذلك ؟.

« .. أما فيما يتعلق بتسميم ماري جيرارد فانني سأقدم اليكم ما يدل على انه لم يكن لدى أي شخص فرصة ارتكاب تلك الجريمة سوى المتهمة . » .

واخترقت تلك الكلمات الحاجز الكثيف الذي كان يحيط بأفكار الينور وكأنها أشواك تخترق حجاباً كثيفاً خانقاً ..

أما المحكمة فكان فيها صفوف من الوجوه .. ومن بينهـا وجه خاص له شارب أسود كبير وعينان تدلان على الذكاء .. هو وجه هركيول بوارو وقد مال برأسه قليلاً .

وراح يرقب الينور بعينين تدلان على التفكير العميق ..

وفكرت الينور في أنه يحاول أن يعرف بالدقة لماذا ارتكبت تلك الجريمة .

« انه يحاول أن يصل بأفكاره إلى داخل رأسي ليعرف ما فكرت فيه ومـا شعرت به . اني شعرت بصدمة مصحوبة باشمئزاز قليل .. ثم وجه رودي .. ذلك الوجه الحبيب ذو الأنف الطويل والفم الحساس .. رودي .. رودي دائماً ومنذ وعت ذاكرتي .. منذ تلك الأيام التي أمضيتها في هنتر بري بـين

الشجيرات وعلى المرتفعات وبالقرب من الغدير .. رودي .. رودي ..

ومن الوجوه الأخرى . وجه الممرضة أوبريان ذات الفم المفتوح قليلاً والوجنة المتناثر عليها النمش .. ووجه الممرضة هوبكنز .. ووجه بيتر لورد الشفوق .. المدرك .. الحنون .. إنه الآن يتسم بنظرة تنم عن الضيق .. لقد أثر فيه كل ذلك تأثيراً شديداً .. على حين انها وهي الشخصية الأولى .. لا يهمها شيء .. وكان ممثل الاتهام لا يزال يتكلم .. قال :

« .. فالوقائع في هذه القضية تتميز بالبساطة المتناهية ولا يوجد من يعترض عليها وسأعرضها عليكم في بساطة تامة ، فمنذ البداية .. »

وهنا مضت اليانور تفكر ..

– البداية .. البداية ؟. لقد كانت البداية في ذلك اليوم الذي وصل فيه ذلك الخطاب البشع المرسل من مجهول ..

الفصل الاول

خطاب من مجهول !.

وقفت اليانور كارليسل تنظر إلى الخطاب المفتوح في يدها إنها لم يمر بها شيء مثل هذا من قبل .. لقد ترك في مشاعرها إحساساً غير حسن .. وكان الخطاب رديء الكتابة ومكتوب على ورق رخيص .. وقد جاء به ما يلي :

« .. انني انذرك .. إنني لا أذكر اسماء ولكن هناك من يحاول استغلال عمتك . فاذا لم تأخذي حذرك فلن يكون من نصيبك شيء ، والفتيـــات « يتميزن » بالحذق : أما السيدات العجائز « فيتميزون » بسهولة التأثير عليهن إذا ما تقربت الفتيات منهن وأمطرنهن بالزلفى .. وإنني أقول أنه من الأفضل لك أن تبدأي بمعرفة مـا يدور ، فليس من الصواب بالنسبة لك أن تحرمي مما هو خاص بك . إنها ماهرة جداً ، وقد تموت السيدة العجوز في أي وقت » .

« ناصح أمين »

وكانت اليانور لا تزال تنظر إلى الخطاب باشمئزاز عندما فتح الباب وأطلت الخادمة لتعلن مقدم « مستر ويلمان » وبعد هذا دخل رودي الحجرة ، رودي الذي كلمـــا وقعت عينا اليانور عليه ، أحست بدوار خفيف وهزة من

سرور مفاجىء ..

كان واضحاً لديها إنها يجب أن تكون حذرة جداً ، فالرجال لا يعجبون بالوله والهيام ومن الطبيعي أن رودي واحد منهم ولذا قالت في استخفاف :

ــ هالو .. رودي ..

ــ هالو يا حبيبتي . إن ملامحك تنطق بالقلق فهل الأمر يتعلق « بفاتورة» واجبة الدفع ؟.

فهزت اليانور رأسها نفياً .. وقال رودي :

ــ لقد ظننت ونحن في منتصف الصيف ان الحسابات المستحقة تبــدأ « فواتيرها » في الانهيار .

ــ لا . انه أمر مزعج .. انه خطاب من مجهول ..

وارتفع حاجبا رودي عجباً وتغيرت ملامح وجهه وقال في استنكار .

ــ أحقاً ؟

وهنا اتجهت اليانور ناحية المكتب وهي تقول :

ــ أظن أنه من الأفضل أن أمزقه ..

وكادت أن تفعل ذلك ولكن سرعان ما غيرت رأيها وقالت :

ــ ربما يكون من الأفضل أن تقرأه أولاً .. ثم نقوم باحراقه بعد ذلك .. انه خاص بعمتي لورا ..

ومرة أخرى ارتفع حاجبا رودي تعجباً وهو يقول :

ــ العمة لورا ؟

ثم أخذ الخطاب وقرأه في امتعاض ثم أعاده اليها وقال :

ــ نعم . لا بد من إحراقه . حقاً ان الناس مخلوقات غريبة ..

ــ أتظن أنه من أحد الخدم ؟

وتردد رودي قبل أن يجيب :

ــ أظن ذلك ولكني أعجب .. من يكون ؟. من يكون الشخص المعني

بالخطاب ؟ أعني الشخص الذي يحاول استغلال عمّتك ؟

فأجابت اليانور بعد تفكير . .

— لا بد أن تكون ماري جيرارد .

— ماري جيرارد ؟ من هي ؟

— إنها ابنة القوم الذين يقطنون الكوخ ولا بد انك تذكرها عندما كانت طفلة ، فقد كانت عمتي لورا مشغوفة بها وتبدي اهتماماً بها حتى انها دفعت لها مصروفات مدرستها ومصروفات نثرية أخرى مثل دروس في « البيـــانو » والفرنسية وغيرها .

— آه .. نعم .. انني اذكرها الآن . كانت طفلة نحيفة فأومأت اليانور برأسها وقالت :

— نعم . . ومن المحتمل انك لم تراها منذ تلك العطلات الصيفية عندمــا كان كل من أبي وأمي في خــارج البلاد إذ كنت تزورنا في هنتربري بصورة مستمرة ، وأذكر اننا كنا نبحث عنها لتلعب معنا عندما كنا أطفالاً . . وهي قد ذهبت أخيراً مرتين في زيارة لألمانيا .

— وما شكلها الآن ؟

— لقد تحولت فأصبحت جميلة ذات خصال طيبة وثقافة عالية .

ولكنها ليست على علاقة حسنة مع والدها إذ أنه يسخر منهــا .. من تعليمها ومن صلفها ، أما امها فانها ماتت منذ سنوات .

وصمتت اليانور قليلا ثم استطردت قائلة :

— أظن انها تذهب الى منزل عمتي كثيراً لأنها تقرأ لها بصوت مرتفع منذ أن أصيبت بالنوبة المرضية الأخيرة .

— ولماذا لا تدع عمتك الممرضة تقرأ لها ؟

- ان صوت المرضة أوبريان أجش ولذلك فان عمتي لورا تفضل ماري عليها ومرت دقيقة أو دقيقتان أمضاهما رودي في ذرع الحجرة جيئة وذهاباً في

سرعة قبل أن يقول :

ــ أتعلمين يا اليانور انني اعتقد انه من الواجب علينا ان نذهب إلى عمتك .

ــ بسبب هذا ؟

ــ لا .. لا .. يجب على المرء أن يكون صريحاً .. ان الخطاب ولا شك كريه .. ولكن قد يكون هناك بعض الصدق فيما جاء به .. اعني أن عمتك مريضة جداً و ..

ــ لعلك على حق يا رودي .

فنظر اليها وهو يبتسم ابتسامته الساحرة ثم اضاف :

ــ والنقود لها أهميتها . لك ولي .. يا اليانور ..

وأقرت اليانور بذلك في سرعة :

ــ نعم .. إنها هامة ..

ــ إنني لا أعني بذلك انني مادي .. ولكن العمة لورا ذكرت مراراً وتكراراً انك أنت وأنا نمثل عائلتها .. فأنت ابنة أخيها وأنا ابن أخ زوجها . ولقد ثبت في أذهاننا اننا سنرث كل ما تملك بعد موتها .

ــ نعم . يا رودي .. هذا صحيح .

ــ ليست العناية بهنتربري أمراً سهلا . فعمي هنري كان على ما أظن ، في سعة من العيش عندما قابل عمتك لورا ولكنها كانت قد ورثت وقتئذ ، وبذلك كانت هي ووالدك على درجة كبيرة من الغنى ، ومع الأسف فقد والدك معظم ثروته بعد ذلك في المضاربات .

وتنهدت اليانور .. ومضى الشاب في حديثه ، قال :

ــ نعم .. ان عمتك لورا كانت تتمتع بذهن أفضل منه .. لقد تزوجت العم هنري ثم اشتريا هنتربري ولقد ذكرت لي منذ مدة قصيرة انها كانت سعيدة الحظ جداً في استثماراتها المالية .

ــ لقد ترك لها العم هنري كل ما يملك عندما مات أليس كذلك ؟

وأومأ رودي برأسه إيجاباً ثم قال :

— لقد كان موته الفجائي كارثة .. كما انها لم تتزوج ثانية .. إنها لعجوز مخلصة .. وقد كانت دائماً طيبة معنا .. فلقد عاملتني دائماً وكأني ابن أخ لها يمت لها بصلة الدم . ولو وقعت في مأزق ما تأخرت عن مساعدتي ولكن من حسن حظي انني لم أقع في مأزق قط .

وأضافت اليانور :

— وكانت كريمة جداً معي ايضاً ..

وأومأ رودي تصديقاً لقول اليانور ثم قال :

— انها جوهرة .. ولكنني أظن أننا نحيا حياة بذخ .

— أظن ذلك .. ان كل شيء يحتاج إلى نقود .. الملابس .. والتجميل .. وأشياء أخرى مثل دور السينما والكوكتيل .

— إنني أحبك لصراحتك ، أحبك لأنك رقيقة ومتعالية .. ولولا وجود العمة لورا لكان من المحتمـل انك تقومين بعمل متعب تقيمين به أودك .. وكذلك الحال معي فلي عمل مع شركة لويس وهيوم ولو انه غير مثير إلا أنه يلائمني ويحفظ علي كرامتي وثقتي بنفسي ، بيد انني لا أخشى المستقبل اعتماداً على ما انتظره من العمة لورا .

— هل تعني بذلك إننا ككلاب جشعة ..

— هراء لقد استقر في فهمنا اننا يوماً ما سيكون لدينا مال .. هذا هو كل شيء وهو بطبيعة الحال يؤثر على تصرفاتنا .

— لم تقل لنا العمة لورا قط بطريقة واضحة كيف ستترك أموالها .

— هذا لا يهم فالمحتمل انها ستقوم بتقسيمها بيننا .. ولكن إذا كانت مثلاً قد تركت كل مالها أو معظمه لك لأنك قريبتها فانني مع ذلك سأتقاسمه معك لأنني سأتزوجك .. وإذا كانت الحبيبة العجوز تظن انه من الأفضل أن تذهب معظم ثروتهـا إلى الرجل كممثل لآل ويلمسان فهذا حسن أيضاً لأنك

ستتزوجينني .

واتبع ذلك بابتسامة عريضة وهو ينظر اليها في اعزاز ، ثم قال :

– ومن حسن الحظ أن كلا منـا يحب الآخر .. انك تحبينني .. اليس كذلك يا اليانور ؟.

– بلى ..

– إنني أظن زواجنا سيكون مثالياً .. فكل منا يحب الآخر باعتدال .. ونحن أيضاً صديقان مخلصان .. ولنا ميول متوافقة .. ويعرف كل منا الآخر جيداً .. ولنا كل المميزات التي يجب توافرها في أبناء العمومة بدون النقائص التي فيهم .. وانني لا يمكن أن أشعر بالملل منك لأنك مخلوق يصعب السيطرة عليه أما أنت فقد تشعرين بالملل مني .. لأنني شخص « عادي » ..

وهزت اليانور رأسها لتقول :

– انني لن أشعر بالملل منك قط يا رودي ..

– يا حبيبتي ...

ثم قبلها .. وقال :

– ان لدى العمة لورا فكرة عما بيننا على ما أظن ألا ترين انه يحسن بنا الذهاب لزيارتها .

– هذا ما كنت أفكر فيه من أيام قلائل لأننا ..

وأكمل رودي كلامها .

– منذ أصيبت بتلك النوبة كنا نذهب اليها كل اسبوعين تقريباً وها قد مضى علينا حوالي شهرين لم نذهب فيهما اليها .

– لو انها طلبت منا زيارتها لذهبنا في الحال .

– نعم بطبيعة الحال .. نحن نعرف انها تحب الممرضة اوبريان وأنها ترعاها جيداً .. ومع ذلك .. فربما كنا مقصرين بعض الشيء .. وكلامي هذا ليس الدافع اليه الوجهة المالية بل الوجهة الانسانية .

وأومأت اليانور برأسها إيجاباً ..

– أعلم ذلك ..

– وعلى ذلك فان الخطاب القذر قد نتج عنه شيء طيب .. إذ علينا أن نذهب الى العمة لورا لنحافظ على مصالحنا ولأننا مشغوفون بتلك المرأة العجوز الحبيبة ..

وأشعل رودي عود ثقاب وقرّبه من الخطاب الذي تناوله من يد اليانور.. ثم تمتم :

– ترى من الذي كتبه ؟. يظهر انه شخص يعمل لمصلحتنا .. وربما يكون بعمله هذا قد قام بعمل طيب لنا .. ومن يدري فقد توصي العمة لورا بأموالها للطبيب الجديد الذي يقوم بعلاجها .

– حقاً ان العمة لوراً تحب دكتور بيتر لورد الذي يعالجها الآن ، ولكن ليس الى هذا الحد .. ومع كل ذلك فان الخطاب الكريه قد جاء فيه ذكر فتاة .. ولا بد انها ماري ..

فقال رودي :

– سنذهب لنرى بأنفسنا ..

* * *

خرجت المرضة أوبريان من غرفة مسز ويلمان.. وقالت للمرضة هوبكنز :

– سأضع اناء الشاي فوق النار لأنني أظن انك محتاجة الى قدح من الشاي..

فأجابت المرضة هوبكنز :

– حسناً يا عزيزتي .. انني دائماً لا أمانع في قدح من الشاي الثقيل .

وقالت المرضة أوبريان بعد أن ملأت الاناء بالماء وأشعلت الموقد تحته :

– إن لديّ في هذا « الدرلاب » كل شيء .. اناء الشاي والأقداح والسكر كما أن « أرنا » تجلب اليّ لبناً طازجاً مرتين في اليوم وبذلك ليس هناك ما يدعو

الى قرع الأجراس ..

وكانت الممرضة أوبريان طويلة القامة تناهز الثلاثين من عمرها ذات شعر أحمر وأسنان ناصعة البياض وابتسامة ساحرة وقد أحبها مرضاها لروحها المرحة ونشاطها . أما الممرضة هوبكنز فقد كانت الممرضة الرسمية للحي وكانت تحضر صباح كل يوم لتقديم مساعدتها في ترتيب الفراش واستحمام السيدة العجوز البدينة ، وكانت في أواسط العمر وتمتاز بمظهرها الدال على الكفاية والحزم .

وقالت الممرضة هوبكنز في رضاء .

– كل شيء يتم على ما يرام في هذا المنزل .

وأومأت الممرضة الأخرى برأسها إيجاباً .

– نعم .. ان بعض الأشياء قديمة .. فلا توجد تدفئة مركزية ولكن هناك مواقد كثيرة والخدم يتسمون بالطاعة ، كما ان مسز بيشوب تشرف عليهم جيداً .

فقالت الممرضة هوبكنز :

– انني لا أطيق فتيات هذه الأيام فمعظمهن لا يعرفن ماذا يردن ولا يمكنهن أداء عملهن بصورة مرضية .

وعقبت الممرضة أوبريان قائلة :

– ان ماري جيرارد فتاة لطيفة .. ولا أعرف حقاً ماذا تعمل مسز ويلمان بدونها .. هل لاحظت كيف سألت عنها الآن ؟.

– أنا آسفة لماري فإن والدها العجوز يبذل قصارى جهده لإيلامها .

– ليست عنده كلمة طيبة واحدة يقولها لها .. ها هوذا الماء قد بدأ يغلي وسأبدأ بوضع الشاي .

وبعد قليل كان الشاي قد أعد وصب في الأقداح ساخناً قوياً وجلست الممرضتان ترشفانه في حجرة الممرضة أوبريان المجاورة لغرفة نوم مسز ويلمان .. وقالت أوبريان :

– سيحضر مستر ويلمان ومس كارليسل اذ وصلت منهما برقية بهذا المعنى صباح اليوم .

فقالت الممرضة هوبكنز :

– آه .. إذن هذا هو السبب الذي كانت من أجله السيدة العجوز في حالة شوق وترقب... ألم يمر وقت طويل منذ آخر مرة حضرا فيها إلى هنا ؟.

– شهران او اكثر .. ان مستر ويلمان شاب ظريف .

وقالت الممرضة هوبكنز :

– اما انا فقد رأيت صورة الفتاة منذ ايام في إحدى المجلات .

وعقبت الممرضة اوبريان قائلة :

– انها فتاة معروفة جيداً في المجتمع وترتدي دائماً ملابس انيقة .. اتظنين انها حقاً جميلة ؟.

فردت الممرضة هوبكنز :

– من الصعب ان تعرفي حقيقة شكل الفتيات تحت وسائل التجميل الحديثة .. وفي رأيي ان الفتاة ليست لها ملاحة ماري جيرارد .

وضمت الممرضة اوبريان شفتيها ومالت برأسها ثم قالت :

– ربما تكونين على حق ان ماري اجمل ولكن تنقصها الأناقة .

– ان الريش الجميل يجعل الطيور جميلة .

ومرة اخرى ملئت اقداح الشاي ثم اقتربت الممرضتان احداهما من الأخرى .. وقالت الممرضة اوبريان في همس :

– حدث ليلة أمس شيء غريب فقد ذهبت في الثانية صباحاً كالعادة للاطمئنان على العجوز فوجدتها مستيقظة ولكن لا بد انها كانت تحلم قبل ذلك لأنني لحظة ان دخلت غرفتها سمعتها تقول : « الصورة لا بد ان احصل على الصورة » ..

فقلت : طبعاً يا مسز ويلمان .. ولكن اليس من الأفضل ان تنتظري

حتى الصباح ؟.

وهنا قالت :

– لا . انني أود ان أراها الآن .

– حسناً ، وأين هي تلك الصورة ؟ أتعنين صورة مستر رودريك ؟.

– رودريك ؟ كلا ، صورة لويس ..

ثم بدأت تتحرك فذهبت اليها لأجلسها ثم أخرجت مفاتيحها من الصندوق الذي بجوار فراشها وطلبت مني أن افتح الدرج الثـاني من « الدولاب » حيث وجدت صورة كبيرة في إطار فضي وكانت لرجل جذاب كتب على جانبهـا اسم لويس .. كانت صورة قديمة العهد بطبيعة الحال فـأخذتها اليها حيث أمسكت بها ومضت تحدق فيها وقتاً طويلاً وهي تتمتم :

– لويس .. لويس ..

ثم تنهدت وأعطتني الصورة وطلبت مني وضعها في مكانها وعندما استدرت كانت العجوز الطيبة قد عادت الى نومها وكأنها طفل صغير ..

– أتظنين انه كان زوجها ؟.

– لا .. لأنني سألت مسز بيشوب صباح اليوم بطريقة لا تثير الانتباه عن اسم ويلمان فقالت لي انه كان يدعى هنري ..

وتبادلت الممرضتان النظرات ثم قالت الممرضة هوبكنز :

– لويس .. لويس .. عجباً ! انني لا أذكر انني سمعت هـذا الاسم في هذه الأنحاء .

– لا تنسي ان ذلك كان منذ أعوام عديدة .

– نعم .. وبطبيعة الحال فانني لم أحضر إلى هذه المنطقة إلا منذ عامين فقط .. و .

فقاطعتها الممرضة أوبريان :

– أنه شخص جذاب أنيق .. ومظهره في الصورة يدل على أنه ربما كان

ضابطاً في سلاح الفرسان ..

ورشفت الممرضة هوبكنز من الشاي ثم قالت :

ـ هذا أمر مثير جداً ..

فقالت الممرضة أوبريان في لهجة حالمة :

ـ ربما كانا فتى وفتاة بينهما والد قاس .

فتمتمت الممرضة هوبكنز :

ـ وربما قتل خلال الحرب ..

* * *

وعندما غادرت الممرضة هوبكنز المنزل أسرعت ماري جيرارد وراءها وقالت لها :

ـ هل يمكنني أن أسير معك حتى القرية ؟.

ـ طبعاً يا عزيزتي ماري .

فقالت ماري وهي تلتقط أنفاسها :

ـ يجب أن أتحدث اليك .. انني مشغولة جداً وقلقة .

فنظرت اليها المرأة الأخرى في حنان ..

وكانت ماري في الحادية والعشرين من عمرها ، جميلة كالوردة المتفتحة ، ذات عنق رقيق طويل ، وشعر ذهبي باهت متموج بطبيعته ، ولها عينان زرقاوان داكنتان .

ـ ما الأمر ؟.

ـ الموضوع ان الوقت يمر ويمر ويمر ويمر وأنا لا أفعل شيئاً ..

ـ أمامك وقت طويل لذلك ..

ـ كلا .. ولكني هـذا يقلقني .. لقد كانت مسز ويلمان كريمة معي .. فقد هيأت لي الذهاب الى المدارس الراقية وأنا أشعر الآن أنه يجدر بي أن

أبدأ بكسب عيشي .. يجدر بي أن أبدأ بالتدرب على شيء ما .

ولقد حاولت أن اشرح مشاعري لمسز ويلمان ولكني وجدت ذلك أمراً صعباً إذ يظهر انها لا تفهم مشاعـري فهي تردد أن هناك فسحة من الوقت لذلك ..

فقالت الممرضة :

– تذكري إنها إمرأة مريضة ..

واحمرت وجنتا ماري وقالت :

– أعرف ذلك .. وأظن أنه يجدر بي ألا أسبب لها ضيقاً .. ولكن هذا أمر يقلقني وأبي يسخر مني لذلك ، ويقول إنني اعيش عاطلة كالأثرياء والحقيقة انني أحب ان اقوم بعمل ما .

– أعرف ذلك

– والمشكلة هي ان التدريب يكلف كثيراً .. وأنا أعرف اللغة الالمانيـــة الآن جيداً ويمكنني الإفادة من ذلك ولكنني في الحقيقة اظن اني أود لو كنت ممرضة في مستشفى ما إذ اني أحب مهنة التمريض .

– وما رأيك في التدليك ؟ انه يدر على العاملين فيه نقوداً كثيرة ..

– ولكن التدريب عليه يكلف كثيراً .. أليس كذلك ؟ لقد كنت آمل .. ولكن هذا يعتبر جشعاً مني بعد أن فعلت الكثير من أجلي .

– أتعنين مسز ويلمان ؟ هراء .. في رأيي أنها مدينة لك بذلك فقد أعطتك ثقافة عالية ولكنها ليست الثقافة التي تفيد صاحبها كثيراً .. ألا ترغبــين في التدريس ؟.

– لست بارعة إلى هذا الحد .

– إذن اليك نصيحتي .. كوني صابرة في الوقت الحاضر يا مــاري .. وفي رأيي – كما قلت لك – ان مسز ويلمان مدينة لك وأن عليها ان تساعدك على البدء باكتساب رزقك ، وانا لا اشك في انها ستفعل ذلك فهي مشغوفـة بك

ولا تريد أن تفقدك .

— أوه .. اتظنين حقاً ان الامر كذلك ؟.

— لا يخالجني في ذلك أقل شك .. فها هي ذي امرأة عجوز عاجزة مشلولة جزئياً ، ولا يوجد شيء أو شخص ما يسرها ، فمن الطبيعي ان وجود فتاة جميلة يانعة معها في المنزل يعني بالنسبة اليها الشيء الكثير وخاصة انك « تتميزين » بطريقة جميلة في معاملة المرضى .

فقالت ماري في رقة :

— الحق اني مشغوفة جداً جداً بالعزيزة مسز ويلمان .. فلقد كانت طيبة معي وانا على استعداد لعمل أي شيء في سبيلها ..

— إذا كان الأمر كذلك فأفضل شيء يمكنك عمله هو البقاء حيث أنت ودعي القلق ولن يستمر الأمر طويلا ..

— ماذا تعنين ؟

— إنها الآن في صحة جيدة ولكن لن يستمر ذلك طويلا .. ستصاب بنوبة ثانية ثم نوبة ثالثة .. واني أعرف ذلك جيداً .. فكوني صابرة يا عزيزتي إذ انك إذا ملأت الأيام الأخيرة سعادة للسيدة العجوز فان ذلك أمر افضل من غيره .. أما ما عدا ذلك فله وقته فيما بعد ..

— أنت طيبة جداً ..

فردت عليها الممرضة هوبكنز قائلة :

— اني أري والدك خارجاً من المنزل .

كانتا وقتئذ قد اقتربتا من البوابة الحديدية الضخمة للمنزل .

وكان هناك رجل كبير السن محنى الظهر قادم نحوها .. فقالت له الممرضة هوبكنز في انشراح :

— طاب صباحك يا مستر جيرارد

فكان رد افرايم جيرارد في جفاء :

- آه ..

- جو جميل ..

- ربما كان ذلك بالنسبة لك .. ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي .. فان اللمباجو يؤلمني ..

- ذلك على ما أظن نتيجة الجو الرطب الذي انتشر في الأسبوع الماضي .. أما هذا الجو الجاف الموجود الآن فسيزيل في القريب آلامك ..

ويظهر أن لهجتها المتسمة بالخبرة قد ضايقت الرجل العجوز لأنه أجابها قائلاً :

- ممرضات ممرضات . كلكن سواء .. تمتلئن انشراحاً لمتاعب غيركم .. ثم تأتي ماري وتقول إنها هي الأخرى تريد أن تصير ممرضة .

فردت عليه ماري بحدة :

- نعم .. أريد ان اكون ممرضة في مستشفى .

نعم .. والأفضل ألا تعملي أي شيء على الاطلاق .. اليس كذلك ؟ يكفيك ان تسيري وكأنك سيدة عالية المقام والا تفعلي شيئاً .. الكسل هو الشيء الذي تحبينه يا ابنتي .

فقالت ماري محتجة والدموع في مآقيها :

- هذا ليس صحيحاً يا أبي ، وليس من حقك ان تقول لي ذلك .

وهنا تدخلت الممرضة هوبكنز بلهجة تحاول ان تبعث بها المرح :

- من الواضح ان الجو قد اثر علينا هذا الصباح .. أليس كذلك ؟ انك لا تعني ما قلت حقاً يا جيرارد .. فماري فتاة طيبة وابنة كريمة

فنظر جيرارد الى ابنته نظرة من يتمنى لها السوء وقال :

- اني لا أعدها ابنتي ..

ثم استدار ومشى إلى داخل المنزل .

وهنا قالت ماري والدموع في عينيها :

— .. انه في الواقع لا يحبني حتى عندمـا كنت طفـلة صغيرة اذ كانت أمي دائماً تدافع عني .

فردت عليها المرضة هوبكنز في حنان :

— كفى . كفى .. لا تقلقي ، وعلينا أن نجتاز هـذه المحن الصغيرة . يا لله ! علي أن اسرع حتى اتم جولتي الصباحية .

الفصل الثاني

رقدت مسز ويلمان في فراشها متكئة على وسائد رتبت في عناية واهتمام ، وكانت أنفاسها متثاقلة ولكنها لم تكن نائمة بل ظلت تحملق في السقف بعينيها الغائرتين الزرقاوين ، وهي امرأة مكتنزة الجسم جميلة المحيـــا ، يرتسم العزم والاعتداد في وجهها الذي لم تجعده يد الزمن والمرض .

وأخيراً استقرت عيناها على ماري الجالسة بجوار النافذة ثم غمغمت باسمة حانية : أهذه أنت يا ماري !!

فاستدارت اليها الفتاة على الفور قائلة :

– أوه .. هل استيقظت يا مسز ويلمان :

فأجابتها لورا ويلمان :

– نعم .. منذ قليل

– أوه .. لو كنت أعرف لما ..

– شكراً .. شكراً .. كنت فقط أفكر في اشياء كثيرة ، اني مغرمـة بك يا عزيزتي وانك تساوين عندي كثيراً .

– هذا فضل منك يا مسز ويلمان .. ولا أدري ماذا كنت أصنع الآن لولا عطفك وحنانك ورعايتك . لقد فعلت من أجلي كل شيء .

فقالت العجوز في قلق ، ويمناها إلى جانبها فاقدة الحراك :

ـ لا أدري .. لا ادري . ان الانسان يود أن يعمـــل أفضل الامور ، ولكن من الصعب ان يعرف خيرها واصوبها .

ـ أنا واثقة انك آثرتني بأفضل واصوب الأمور .

فهزت المريضة رأسها وقالت :

ـ كلا ، كلا .. انه يتمشى في دمي شيطان الكبرياء الذي انحدر الي عن طريق اسرتي كما انحدر الى ابنة أخي اليانور أيضاً .

ـ سوف تدخل مس اليانور ومستر رودريك على نفسك السرور بمجيئهما .

ـ كم أحب هذين الطفلين !! انا واثقة دائماً انهما يجيئان بمجرد ان ادعوهما ، ولكنني لا أحب ان اطلبهما كثيراً ، لأنهما صغيران سعيدان ولا حاجة تدعو إلى إدخال الأسى على قلبيهما قبل الأوان .

ـ وانا واثقة ان رؤيتهما لك ستسرهما كل السرور .

واستطردت مسز ويلمان تقول كأنما تحدث نفسها اكثر مما تحدث الفتاة :

ـ لقد كنت أرجو دائماً ان يربطهما الزواج دون ان احاول اقـتراح ذلك لأن الشباب عنيد بطبعه ، ولقد تبينت منذ كانا طفلين ان اليانور تحبه كثيراً ولكنني لم أكن واثقة من ناحيته لأنه مخلوق متحفظ في كل شيء منذ صغره ، وكذلك كان زوجي هنري من زمن بعيد ولكن الموت عاجله ولمـــا تمض على زواجنا خمس سنوات ، مات بالتهاب رئوي مضاعف ، فشعرت بالوحدة وانا في السادسة والعشرين من عمري ، وانا الآن قد تجاوزت الستين ، ويقعـــدني الشلل ويجعلني كالطفـلة بلا حول ولا طول .. ولولاك يا ابنـتي لجننت من هذا العجز .

ـ أنا سعيدة بأن ادخل بعض السرور على نفسك يا مسز ويلمان .

ـ أما مستقبلك فدعيه لي يا ابنتي ، وسأتكفـل بأن أهيىء لك اسباب الاستقلال والعمل الذي يلائمك ، ولكن على أن تصبري قليلاً وتعتقدي ان

بقاءك معي هنا يعني عندي اشياء كثيرة .

– اني اؤثر البقاء معك على الدنيا بأسرها .

– انت في منزلة ابنتي تماماً يا ماري ، وقد رأيتك تترعرعين هنـا في هنتربري الى ان غدوت فتـاة جميلة افخر بهـا وارجو ان اكون قد بذلت قصارى ما استطيع من اجلك .

– إذا كان والدي لا يروقه ما بلغته من التعليم فاني مدينة لك بهذا الفضل الكبـير ، واذا كنت اتلهف على كسب قوتي فـذلك فقط لأني اشعر ان من واجبي ان اسعى لإعالة نفسي ولأني لا اطمع من ورائك في اكثر مما قدمته الي.

– لا تبالي بما يقوله والدك ، انا التي تلح عليك وترجوك ان تبقي هنا الى ان ينتهي قريباً كل شيء .

– كلا يا مسز ويلمان ! ان الدكتور لورد يقول انك قد تعيشين سنين طويلة .

– هذا لا يهمني .. بل قد طلبت الى الدكتور لو يستطيع ان ينقلني الى العالم الآخر بلا ألم . ولكنه لم يؤت الشجاعة الكافية ، وقال انـه لن يخاطر بالتعرض للمشنقة ولو اعطيته كل ثروتي .

– شكراً له .. ما هذا أهي السيارة ؟.

ثم أسرعت تطل من النافذة ، وعادت تقول :

– نعم السيارة التي تقل الآنسة اليانور ومستر رودريك .

* * *

واستقبلت العجوز ابنة اخيها بابتسامة مشرقة ، وهي تقول :

– يسرني ان اراك يا اليانور ومعك رودي .. اتحبينه يا ابنتي .

– طبعاً !.

– سامحيني يا عزيزتي – فأنت كما عرفتك – شديدة التحفظ ، ويصعب ان يعرف الانسان فيم تفكرين ، وماذا تحسين ، لقد شاهدتكما وانتما طفلان

صغيران ينمو الحب في قلبيكما وظللت تهتمين بـه الى ان رأيتك تعودين من المانيا ، وكأنما اعترى عاطفتك نحوه بعض التغير ، والواقع اني اسفت لذلك كثيراً ، وخشيت هذه الظاهرة باكورة الاعتداد الشديد بالنفس الذي يسري في سماء اسرتنا .. اما الآن فقد أقررت بأنك تحبينه ، فـأنا اشعر بالسعادة تملأ جوانحي .

– الواقع اني احبه يا عمتي ولكن ليس الى الحد الذي تتصورينه .

– كيف ؟ احدث شيء ينغص سعادتك ؟

– كلا ، ولكنني ادين بالرأي القائل ، دعي صديقك يخمن وحذار ان تجعليه واثقاً من انك تحبينه .

– يخيل لي انك لست سعيدة يا طفلتي فماذا جرى ؟

– لا شيء على الاطلاق .

ثم مضت الى النافذة واستدارت قائلة :

– اخبريني صراحة يا عمتي : اترين الحب يجلب السعادة .

– بالمعنى الذي تقصدينه ربما كلا ، لأن شدة التعلق بانسان تورث الهم اكثر مما تجلب السعادة ، ولكن الحب في الوقت نفسه غذاء ضروري للروح ومـا عاش من لم يعرف طعم الحب .

وقبل ان تجيب الفتاة فتح الباب وقدمت الممرضة اوبريان تقول :

– لقد جاء الدكتور لعيادتك يا مسز ويلمان .

ودخل الطبيب بوجهه الذي تشوبه بعض الدمامة وقد تـألقت عينـاه الزرقاوان ببريق الذكاء .. وكان لا يعدو الثلاثين من عمره فقال :

– طاب صباحك يا مسز ويلمان .

– طاب صباحك يا دكتور لورد .. هذه ابنة اخي مس اليانور كارليسل

فوثب الاعجاب الى وجه الطبيب الشاب ثم قال :

– كيف حالك ؟

ثم ضغط يد الفتاة في كفه كما لو كان يود تحطيمها ؟
واستطردت العمة تقول :

– لقد جاءت اليانور لترفه عني في وحدتي .

فقال :

– حسناً فعلت ! هذا نفس ما تحتاجين اليه ، انا واثق ان هـذا سيعود عليك بتحسن كبير .

وكان لا يزال يرنو الى الفتاة وبريق الاعجاب يتـألق في عينيه الشـاقبتين
وقالت اليانور وهي تتحرك نحو الباب .

– قد اراك يا دكتور قبل ان تنصرف .

فتمتم : طبعاً ، كما تشائين !

وقالت مسز ويلمان : أظن أننـــا يجب ان نبدأ الروتين العادي : نبض وتنفس ودرجة الحرارة والضغط ، يا لكم من أفاقين يا معشر الأطباء !

فضحك الطبيب عالياً ، ثم القى عليها الأسئلة التي اعتادتهـــا منه في كل مرة وقال :

– أنت تتحسنين باطراد يا سيدتي !

– أسيكون في وسعي السير في أنحاء المنزل في مدى أسابيع ؟

– ليس بهذه السرعة .

– إذن ما فائدة الحياة أيها الأفاق إذ قضتها امرأة مثلي في فراشها ليعنى بها الآخرون كالطفلة الصغيرة !

– فائدة الحياة ، إن الانسان يعيش لأن به غريزة حب الحياة فحسب ، أما أولئك الذين حصلوا على كل شيء يعيشون من أجله فانهم يتركون نفوسهم تذوى وتفنى لأنهم لم يعد لديهم الرغبة في الكفاح والنضال .

– استمر في فلسفتك .

– أنت إحدى من يردن الحياة مهما قلت وإذا كان جسمك يرغب في الحياة

فلا يجب أن يتجه العقل اتجاهاً آخر .

ثم نهض قائلاً :

ــ آن لي أن أذهب من هنا .

ــ ابنة أخي تريد ان تتحدث اليك كما قالت ، وبهذه المناسبة ما رأيك فيها .

فتضرجت وجنتاه فجأة وقال :

ــ أنا .. أوه !. إنها غاية في الجمال وتبدو عليها مخايل الذكاء .

وكان رودي يتجول في الحديقة الى أن بلغ حقل الخضر ، وراح يتساءل ترى هل قدر له أن يعيش واليانور في هذا الريف الجميل يوماً ما ؟ وكان يخشى أن تؤثر خطيبته الاقامة في لندن ، وما لبث ان تمتم قائلاً :

-- إنها كاملة في كل شيء ولا ينقصها شيء ، إنها تسحر العين بجمالها الفاتن وتطرب الأذن بحديثها الطلي الذكي ومن حسن حظي أن ظفرت بها .

ذلك أن رودريك لم يكن في الواقع ممن يغترون بأنفسهم فما لبث أن غمغم بين شفتيه . لا ادري ماذا اعجبها فيّ حتى تحبني كل هذا الحب ؟!

ولم يشأ ان يطالبها بالزواج في الحال بل ترك لها ان تختار الموعد الذي يروقها ما دام واثقاً بأنها متيمة به ، تكاد تعبده عبادة رغم ما يغلب عليها أحياناً من التحفظ وعدم الإسراف في إظهار وجدها بدافع من تعاليمها الموروثة

ومضى إلى الحديقة المسوّرة خلال بوابة في النهاية البعيدة ، ثم راح يتجول في للغابة الصغيرة الزاخرة بزهور الربيع .

وتقدمت نحوه من بين الأشجار فتاة ما أن شاهد شعرها الأشقر ووجهها الصبيح حتى هتف لنفسه قائلاً :

ــ حقاً ما أجملها وأروعها !

وشعر بشيء يمسك به وكأنما تخدرت أوصاله ، وراح يحملق في الفتاة وكأنه عابد في محراب ، ووقفت الفتاة فجأة ثم اتجهت نحوه وهو ما زال فاغراً فمه وسألته في تردد :

ـ الا تذكرني يا مستر رودريك ؟ لقد انقضى وقت طويـل بلا شك أنا ماري جيرارد التي تقيم في الكوخ .

ـ أوه ، اوه أنت ماري جيرارد ؟

ـ نعم .

وتولاه الحياء فقالت :

ـ لقد تغيرت كثيراً منذ رأيتك ولذلك لم تعرفني .

ـ نعم تغيرت كثيراً .

ووقف يحملق فيها ولم يسمع خلفه وقع أقدام اليانور تقترب منه والتفتت ماري إلى اليانور التي ما لبثت أن هتفت :

ـ هالو . ماري !

فابتسمت هذه وقالت :

ـ كيف حالك يا مس اليانور ، اني مسرورة برؤيتـك لقـد كانت مسز ويلمان تتلهف على مجيئك .

ـ شكراً ! لقد ارسلتني الممرضة أوبريان لأبحث عنك لأنها تريد أن ترفع مسز ويلمان وتقول انك التي اعتدت القيام بذلك .

ـ سأذهب في الحال !.

وأسرعت تجري بينما اليانور ترمقها وتتأمل قامتها الرشيقة ،وتمتم خطيبها :

ـ لقد غدت رائعة الجمال ؟

فلم تجب اليانور بل ظلت صامتة لبضع لحظات واخيراً قالت ذاهلة :

ـ حان وقت الغداء ، يحسن أن نعود .

وسارا جنباً إلى جنب في طريقهما الى المنزل دون ان يتبادلا كلمة واحدة .

* * *

ـ تعالي يا ماري ، انه فيلم عظيم يدور كله حول باريس .

ـ أشكرك كثيراً يا تيد ولكنني لا استطيع .

فاحتقن وجه (تيد بيجلاند) بالغضب وصاح :
– لم اعد اقوى على حملك في هذه الأيام على الخروج معي !
لقد تغيرت كثيراً جداً .
– كلا ، لم اتغير قط يا تيد .
– كل ذلك لأنك دخلت مدرسة عالية بألمانيا ولم تعودي تحفلين بنا !!
- هذا غير صحيح . أنا لست من هذا الطراز يا تيد .

وتطلع اليها الشاب في إعجاب رغم غضبه ثم قال :
– نعم .. لقد غدوت (سيدة) بكل معنى الكلمة ، انك تشبهين (كونتيس) او دوقة .
وظهرت لهما إذ ذاك مسز بيشوب بقامتها المديدة وثوبها الأسود الجميل وحدجتها بنظرة حادة فتحرك الشاب خطوتين جانباً وقال :

– طاب يومك يا مسز بيشوب .
فمالت برأسها الجميل وقالت : مساء الخير يا تيد .. مساء الخير يا ماري .
ثم مرت اشبه بالمركب الشراعي فتأملها تيد في احترام وتمتمت ماري :
- إنها للأسف لا تحبني وتتعمد ان تخاطبني بلهجة جارحة .
– إنها تغار منك .. هذا كل ما هنالك .

– ربما كان هذا هو السبب .

– بل لا سبب غير ذلك .. لأنها قضت سنوات طويلة تـأمر وتهيمن في هنتربري ثم ها هي تراك قد احتللت المكانة الكبرى عند العجوز مسز ويلمان !

– لا ذنب لي في ذلك ، وكل ما اتمناه ان يحبني كل إنسان .. لقد تأخرت يا تيد ويجب ان اذهب ..
– إلى اين ؟
– سأتناول الشاي مع الممرضة هوبكنز .
فقال متجهم الأسارير متقززاً :

– مع ذات الانف الطويل واللسان الثرثار ؟!
– الى اللقاء يا تيد .

* * *

وكانت الممرضة هوبكنز تقيم في كوخ صغير في نهاية القرية ، وكانت اذ ذاك تخلع قبعتها لانها كانت في الخارج وعادت لتوها فلما شاهدت ماري قالت :
– لقد ساءت حال العجوز مسز كالديكوت مرة اخرى ، وانا قادمة على الفور من عندها . لقد شاهدتك مع تيد بيجلاند في نهاية الطريق ، هل كان يسر اليك شيئاً خاصاً ؟
– كلا .. تيد طلب اليّ ان أرافقه إلى السينما .
– انه شاب لطيف وعمله بالجراج لا بأس به ، كما ان أباه من انشط الفلاحين هنا .. ولكن في الحقيقة بتعليمك وثقافتك لا تستطيعين ان تكوني زوجة له ولو كنت في مكانك لتدربت على التدليك عندما يحين الاوان .
– لقد صارحت مسز ويلمان بذلك اخيراً فلم تشأ ان ابتعد عنها وطلبت اليّ الا اهتم بالمستقبل لانها ستعينني عليه .
وكأنما ارادت ماري ان تغير مجرى الحديث فقالت :
– اتعتقدين ان مسز بيشوب تكرهني ام ان هذا وهم مني ؟
– يخيل اليّ انها تكره الشباب ولا ترضى ان ينعم احد دونها بربيع العمر ومرحه ونشاطه ولعلها تنفس عليك ما تراه من ان مسز ويلمان مغرمة بك كثيراً .
ثم ضحكت وقالت :
– لو كنت في مكانك مـا اهتممت لشيء ، افتحي هذه الورقة يا عزيزتي والتهمي كعكتين مما فيها .

الفصل الثالث

« أصيبت عمتك بنوبة ثانية في الليلة الماضية .. لا داعي للقلق العاجل ولكني اقترح ان تحضري إذا أمكن . الامضاء : دكتور لورد » .

وما أن تلقت اليانور هذه البرقية حتى بادرت تتحدث تليفونياً إلى (رودي) ، ثم استقلا اول قطار الى هنتربري ، وكانت لم تر خطيبها في الأسبوع الذي انقضى منذ عودتها من هنتربري إلا مرة واحدة ، كان لقاؤهما في أثنائها قصيراً ، كما انه – على غير عادته أرسل لها باقة من الورد ! وراح في الطريق يتودد لها ، وكأنما كان يمثل دور الخطيب المدله ، بينما كان حديثها معه اكثر اعتداداً وتشامخاً .

قال في نبرات تفيض بالأسى :

– مسكينة عزيزتنا العجوز ! لقد كانت بخير عندما غادرناها .

فأجابته اليانور :

– إنها تكره المرض ، ويخيل اليّ ان كثيراً من المرضى أولى بأن ينقذوا من آلامهم وأن ينعموا بالراحة التي ينشدونها .

– الواقع ان هذا خير ما يجب أن تعمله المدنية ، وإذا كنا أحياناً نريح الحيوان من آلامه ، فالانسان أولى بذلك لولا ان أباحة هذه النظرية تمكن

الأقارب من القضاء على مورثهم بحجة إراحته من آلامه المبرحة .
ـ يمكن أن يترك هذا الحكم الطبيب .
ـ قد يكون الطبيب وغداً .
ـ نعم ، ليس جميع الأطباء في استقامة الدكتور لورد .

***

وكان الدكتور لورد منحنياً على فراش المريضة وخلفه الممرضة أوبريان ، وكان يحاول أن يفهم معنى كل صوت ينبعث من بين شفتي العجوز ويقول :
ـ نعم .. على مهلك . فقط ارفعي يدك اليمنى قليلاً إذا اردت أن تقولي « نعم » . هل يشغلك شيء ؟
فرفعت يدها اليمنى قليلاً علامة الايجاب ، فعاد يسألها :
ـ أهو شيء عاجل تريدين أن تعمليه ؟ أنرسل الى أحد ؟ الى مس اليانور؟ ومستر ويلمان ؟ انهما في طريقهما الى هنا .
وبعد أن ترك المريضة الواهنة تستريح لحظة عاد يسألها على طريقته :
ـ أنت لا تريدين مجيئهما ؟ أتريدين شخصاً آخر ؟ أهو قريب ؟ شخص تربطك به أعمال ؟ عمل خاص بمسائل مالية ؟ المحامي ؟ أتريدين مقابلته حسناً جداً ! ماذا تقولين ؟ اليانور ؟ أتريدين أن تقولي انها تعرف المحامي وتستطيع أن تعد معه الأمور ؟ حسناً .. سوف تكون هنا قبل نصف ساعة . سأخبرها بما تريدين ، اتركي هذا لي .
وتبعته الممرضة اوبريان إلى الخـــارج ، وكانت الممرضة هوبكنز ترتقي الدرج فأومأ لها برأسه فقالت عندما بلغته :
ـ طاب مساؤك يا دكتور .
ـ طاب مساؤك .. تعالي معنا ..
ثم دخل بهما إلى حجرة أوبريان التالية حيث القى عليهما بعض التعليمات

وأمر هوبكنز بأن تعمل طوال الليل وأن تتناوب السهر مع زميلتها أوبريان ثم قال :

– أرجو ان أتمكن غداً من احضار ممرضة مقيمة فقد استنفدت الدفتريا اللعينة معظم المرضات في ستامفورد .

ثم هبط الدرج لاستقبال ابنة الأخ وخطيبها ، وفي الردهة قابل ماري جيرارد بوجهها الشاحب وأساريرها القلقة فقال لها يهدىء خاطرها :

– ستنام الليلة نوماً هادئاً ..

* * *

صاحت اليانور عندما دخلت غرفة الاستقبال :

– هل حالتها في غاية السوء ؟

وكان رودي شديد الامتقاع فقال الطبيب :

– يؤسفني أن اقول انها أصيبت بشلل كامل وان لسانها يكاد لا يقوى على النطق .. وبهذه المناسبة انها تتلهف الى رؤية محاميها فهل تعرفينه يا مس اليانور ؟

– نعم . انه مستر سيدون ولكنه لن يكون موجوداً بمكتبه في مثل هذا الوقت من المساء ولا أعرف عنوان منزله .

– إذن نرجىء ذلك للغد صباحاً .. ومن صالحها الا نزعجها الليلة بقدر الامكان تعالي يا آنسة فقد نتمكن من بعث الطمأنينة في نفسها .

– طبعاً .. سأصعد معك في الحال .

وسألها رودي في شيء من التخاذل :

– أتريدينني معك ؟

وكانت تعرف انه يكره أن يرى المريضة طريحة الفراش بلا حول ولا قوة فأجابته :

– لا داعي لذلك .. ويحسن ألا تزدحم غرفة المريضة .

فتنفس الصعداء ، وصعدت الفتـــاة مع الطبيب حيث وجدا الممرضة أوبريان مع العجوز وكانت هذه تتنفس في صعوبة وعمق وسرعان مـــا انبسطت أساريرها عندما فتحت عينيها وشاهدت اليانور ثم تمتمت باسمهـــا في صعوبة فقالت الفتاة :

– أنا هنا يا عمتي ، أتريدين أن ارسل في دعوة مستر سيدون ؟ مـــاذا تريدين ؟ ماري جيرارد ؟ هل أدعوها ؟ إذن ماذا ؟

وجاهدت المريضة حتى نطقت بكلمة « ذخيرة » فقالت ابنة أخيها :

– ذخيرة ؟ أتعنين انك تريدين أن تتركي لها بعض المـــال في وصيتك ؟ هذا سهل جداً فسوف يأتي مستر سيدون في الصباح وسنعد كل شيء يحقق رغبتك ..

فبدا الارتياح على المريضة وتبددت من نظراتها الضارعة امارات الضيق والخوف . وأمسكت اليانور بيدها فشعرت بأصابعها الهزيلة الناحلة تضغط راحتها بالشكر والارتياح ، وعادت العجوز تغمض عينيها فوضع الطبيب يده على ذراع الفتاة وجذبها برفق إلى خارج الغرفة واستعادت الممرضة أوبريان مقعدها بجوار الفراش ..

وفي الخـــارج على درج السلم كانت ماري جيرارد تتحدث مع الممرضـــة هوبكنز فما ان شاهدت الطبيب حتى سألته ضارعة :

– هل أستطيع ان ادخل اليها يا دكتور لورد ؟

فأومأ برأسه وقال :

– في هدوء .. بحيث لا تزعجينها ..

فدلفت إلى حجرة المريضة ، وعينا اليانور ترمقانها بحيث لم تسمع كلمات الطبيب الذي كان يتحدث اليها ، وما لبثت أن أفاقت لنفسها وقالت :

- معذرة يا دكتور .. ماذا كنت تقول !

وتولاه الارتباك فأجاب :

- ماذا كنت أقول ؟ لا أتذكر .. الواقع أن مجيئك هو أحسن ما حدث اليوم .

- لقد آلمني أن أراها هكذا ..

- يبدو انك تعرفين كيف تمسكين زمام عواطفك لأنه لم يظهر عليك مبلغ هذا التأثر الكبير ..

- لقد تعلمت كيف أخفي مشاعري عند الحاجة ..

فقال الطبيب في تؤدة :

- سوف ينحسر هذا القناع يوماً ما ..

ومرقت الممرضة هوبكنز إلى الحمام ، ورفعت البانور حاجبها الرقيق وتأملت وجهه قائلة :

- القناع ؟

- إن الوجه البشري قناع لا أكثر ولا أقل .

- وماذا تحته ؟.

- الرجل أو المرأة البدائية .

فاستدارت بسرعة وتقدمته تهبط الدرج فتبعها وهو نهبة الحيرة والارتباك وخرج رودي إلى الردهة لاستقبالها وسألها في لهفة :

- كيف الحال ؟.

فقالت البانور :

- إن منظرها يبعث على الأسى ، لا تدخل حتى تسأل عنك .

- ألم تطلب شيئاً بصفة خاصة ؟

وإذ ذاك قال الطبيب للفتاة :

- يجب أن انصرف الآن فليس لدي هنا ما أعمله ، وسأعود مبكراً في صبيحة الغد ، لا تستسلمي لليأس يا مس كارليسل إلى اللقاء .

وأمسك بيدهـا بضع لحظـات وهو يرنو اليها في إعجـاب ممـتزج بالرثاء لجزعها ، وعندما أغلق خلفه الباب كرر رودي سؤاله .

فأجابته :

- إن العمة تتنازعها بعض الشواغل الخـاصة فطمأنتهـا إلى انني سوف استدعي مستر سيدون ليكون هنا في صبيحة الغد .

- أتريد أن تجدد وصيتها ؟

- لم تقل ذلك .

- إذن ماذا قالت ؟

وتوقف في منتصف السؤال لأنه رأي ماري جيرارد تجري هابطة درج السلم وتعبر الردهة ثم تختفي خلف الباب ناحية المطبخ ، وسألتـه اليانور في صوت أجش :

- ماذا كنت تريد أن تسأل ؟

فغمغم في كلمات مبهمة وهو بادي الاضطراب .

- أنا . ماذا ؟ لقد نسيت ما كنت أريد ان اقوله .

وكان لا يزال يحملق في الباب الذي دخلت منه ماري جيرارد فقبضت اليانور على راحتيها في انفعال جعل اظافرها تنفذ في لحم كفيهـا ، وقالت لنفسها :

« هذا لا يحتمل !! هذا ليس وهماً أو خيالاً ولكنه الحقيقـة المرة .. رودي ! رودي ! لا يمكن أن افقدك ، او اسمح لمخلوقـــة ان تنتزعك مني !. » .

ثم قالت بصوت هادىء مسموع :

– وماذا عن تناول الطعام يا رودي ! أنا لست جائعة وسأجلس مع العمة حتى تتناول المرضتان طعامهما .

– هل سأتناول معهما العشاء !

– أتخشى ان تعضاك !

– ولماذا لا نتعشى معاً ثم تدعيهما تهبطان بعد ذلك !

– كلا .. دعني أصرف الأمور وفق ما أرى

الفصل الرابع

وفي الصباح تولت مسز بيشوب بنفسها ايقاظ اليانور من نومها وهي تبكي وتنتحب وتقول : لقد مضت يا آنسة .

ـ ماذا !

ووثبت الفتاة مرتاعة في فراشها فعادت مسز بيشوب تقول :

ـ لقد توفيت عمتك العزيزة في أثناء نومها .. لقد عاشرتها عشرين عاماً ولم اكن أتوقع مثل هذا اليوم .

ـ نعمة من الله أن تموت العمة في اثناء نومها ميتة هادئة .

ـ ولكنها ماتت فجأة .

فانتهرتها اليانور بحدة :

ـ لم تمت فجأة لأنها كانت شديدة المرض ومن رحمة الله ، أن وضع حداً لآلامها وعذابها .

ـ ومن سيتولى إنهاء الخبر الى مستر رودريك .

ـ سأقوم بهذه المهمة بنفسي .

ثم قامت الى بابه فطرقته ودخلت وهي تقول :

ـ لقد ماتت العمة يا رودي . ماتت في نومها .

فجلس في فراشه وتنهد تنهدة عميقة وقال .

ـ مسكينة العمة العزيزة ! ولكني أحمد الله لأنني لم احتمل رؤيتها بالأمس وهي تعاني سكرات الموت .

ـ لم أعرف انك رأيتها بالأمس .

فتولاه الخجل وقال :

ـ الحق يا اليانور اني دخلت في المساء أغالب جبني وكانت الممرضة البدينة قد غادرت الغرفة لأمر ما ، ومعها زجاجة الماء الساخن على ما أذكر ، فتسللت وتطلعت اليها ولما أحسست بالممرضة ترتقي الدرج مرة أخرى تسللت عائداً ، لقد كان منظرها مؤلماً يمزق القلب !

***

قالت الممرضة أوبريان لزميلتها :

ـ ماذا ؟ أتبحثين عن شيء فقدته ؟

فأجابتها الممرضة هوبكنز وقد أربد وجهها وهي تبحث في حقيبتها التي كانت قد وضعتها في المساء السابق بالردهة :

ـ لا أتصور حدوث هذا ؟! لقد كنت أضع أنبوبتي مورفين في الحقيبة أعطيت مسز (اليزاريكن) واحدة قبل مجيء في الليلة الماضية وبقيت الأخرى في الحقيبة ولكنني لا أجدها .

ـ ابحثي عنها فهي صغيرة الحجم .

فعادت الممرضة هوبكنز تقلب محتويات حقيبتها ثم قالت :

ـ كلا .. ليست هنا ، لا بد اني تركتها في دولابي وان كنت اجزم كذلك بأني اخذتها معي .

ـ ألم تتركي الحقيبة في مكان ما في طريقك إلى هنا ؟

ـ كلا .. انا واثقة اني لم أضعها الا في الردهة ، والذي يضايقني اني

سأضطر الى الذهاب اولاً الى منزلي في نهاية القرية للتحقق من امر الأنبوبة ثم اعود إلى هنا .

- في وقت انت أحوج ما تكونين فيه إلى الراحة من التعب الذي عانيته في الليلة الماضية .

* * *

قال رودريك ويلمان :

- أتعني ان العمة ماتت دون ان تترك وصية ما ؟

فصْقل مستر سيدون نظارته وقال :

- هذا هو الأرجح .

- هكذا يحسب الانسان ان لديه فسحة من الوقت الى ان يدهمه الموت ، ألم تتحدث اليك من قبل في هـذا الشأن ؟

- كثيراً .

- وماذا قالت ؟

فتنهد مستر سيدون وقال :

- الأشياء العادية ، قالت ان هناك كثيراً من الوقت وكانت تكره ان اذكرها بالموت .

فقالت اليانور في حيرة :

- ولكنها كانت ترغب في ان تموت .

- ان العقل البشري يا آنسة اليانور آلة عجيبة ، فقد تكون مسز ويلمان فكرت او رغبة في الموت ولكن الأمل في ان تشفى وان تستعيد صحتها كان يتمشى جنباً الى جنب مع تلك الرغبة ، واغلب الظن انها كانت تتشاءم من عمل وصية ، ولذلك كانت ترجىء ذلك يوماً بعد يوم .

- إذن فهـذا سر انزعاجها الشديد بالأمس وتلهفها على مقابلتك عندما

شعرت بدنو الأجل ؟
– ولكنها لم تتمكن من ترك وصية خاصة وبذلك سوف تؤول كل ثروتها اليك يا مس اليانور كارليسل .
– كلها لي .. أنا ؟
– نعم عدا نسبة مئوية للدولة .
ثم مضى يشرح لها التفاصيل وانتهى قائلاً
– أظن مستر رودريك ابن أخ زوج الراحلة ؟
فأجابت الفتاة في بطء دون أن تنظر الى خطيبها :
– نعم ، ولكن لا يهم أن أكون الوارثة الوحيدة لأننا سوف نتزوج
– كذا !
وبعد ان استأذن المحامي في الانصراف قال رودريك :
– يجب ان تعرفي جيداً اني لا انفس عليك أن تكوني الوارثة الوحيدة واني أمقت هذا المال .
– أذكر انك قلت في لندن انه لا يهم من منا يكون الوارث اليس كذلك؟
– أجل .. أجل .
وتطلع إلى قدميه وهو ممتقع الأسارير وتمتم :
– لا يهم . لا يهم !
– السنا سنصبح زوجين ؟
فقال في غير اكتراث :
– هو ذلك يا اليانور ولكنني أراني تبدلت ولا أدري ماذا حدث لي !
– أنا أعرف السبب .
– يبدو اني لا أرتاح الى ان اعيش على نقود زوجتي .
ولكنها صاحت في حدة وقد غاض الدم من وجهها :
– ليس هذا هو السبب !. انه شيء آخر . ماري جيرارد اليس كذلك؟

– أظن ذلك .. كيف عرفت ؟

– لم يكن الأمر صعباً لأن وجهك كان ينطق بهذا كلما وقعت عليها عيناك

– الواقع انني لا أدري ؟ يخيل لي الآن انني جننت عندما رأيتها أول يوم في الغابة وان رأسي دار وانني ..

– استمر .. استمر

– لم أشأ ان اقع في حبها لأنني كنت سعيداً معك . اغفري لي يا اليانور أن أحدثك عنها هكذا .

– هراء ! استمر . اخبرني بكل شيء .

– أنت رائعة ويريحني ان افضي اليك بما يصطخب في جوانحي ..

انا مغرم بك يا اليانور .. صدقيني ، ولكن الأخرى أشبه بسحر طغى عليّ . قلب كياني .. ونظرتي الى الحياة وتذوقي للأشياء .. وكل مـــا هو رتيب معقول .

– ولكن أليس الحب معقولاً ؟

– كلا .. كلا .

– أقلت لها شيئاً ؟

– الواقع اني فقدت عقلي هذا الصباح ولكنها ..

– ماذا ؟.

– اسكتتني على الفور . فقد فوجئت .. لأنها تعلم انني وأنت .

فسحبت اليانور خاتماً من الماس من اصبعها وقالت :

– يحسن أن تسترد هذا يا رودي .

فأخذه وهو يغمغم كالمحموم :

– ليست لديك فكرة يا اليانور عن الخزي الذي اشعر بـه ، ان وحشاً مفترساً ينهش في مشاعري ..

– وهل تظنها ستتزوجك ؟

فهز رأسه وقال :

– لا أظنها تحفل بي الآن ، ولكنها قد تفعل ذلك يوماً .

– أظنك على حق ، يجب أن تمنحها الوقت الكافي ، ابتعد عنها قليلاً ثم ابدأ من جديد .

– أنت خير من صادقت يا اليانور !

ثم أمسك فجأة بيدها وراح يقبلها ويقول :

– انك تعرفين تماماً انني أحبك وان ماري أشبه بحلم قد استيقظ منه ولا أجدها .

– وإذا لم تجدها ؟

– بودي لو يحدث هذا ؟ انني انتمي اليك وأنت تنتمين اليّ ، ونحن الاثنين خلقنا لنكون معاً .

فقالت تحدث نفسها :

– نعم ، نعم لولا وجود ماري !.

الفصل الخامس

قالت الممرضة هوبكنز في حماسة :

ـ كانت جنازة رائعة !

فأجابتها الممرضة أوبريان :

ـ حقيقة ، والزهور ، أرأيت أجمل منها ؟

وكانتا تحتسيان الشاي في مقهى (بلوتيت) فأستطردت هوبكنز قائلة :

ـ ان مس اليانور فتاة كريمة فقد اعطتني هدية جميلة .

ـ لا شك في كرمها . ترى لو حررت الراحلة وصيتها هل كانت تترك كل ثروتها لأبنت أخيها ؟

ـ الذي أعرفه أنها كانت تريد أن تترك مبلغاً من المال لماري جيرارد .

ـ هذا صحيح . ولعلنا كنا فوجئنا بأنها تركت كل شيء تملكه لماري وحدها !

ـ لا أظنها كانت تحرم من هي من لحمها ودمها .

ـ هناك لحم ودم ، ولحم ودم .

ـ ماذا تعنين يا أوبريان ؟

ـ أنا لست ثرثارة ولا أريد ان الطخ اسم الميتة .

– أنا معك في هذا .

– على فكرة ، هل وجدت انبوبة المورفين عندما عدت الى منزلك ؟

فعبست هوبكنز وقالت :

– كلا .. ويغيظني ألا أعرف أين ذهبت ! وكل ما أعلل به ضياعها هو انني تركتها على حافة المدفأة كما افعل أحياناً عندما أغلق الدولاب بالمفتاح وربما تدحرجت وسقطت الى سلة المهملات التي كانت مليئة ثم أفرغت في السلة العامة في الطريق بمجرد مغادرتي المنزل ، هذا هو التعليل الذي يتقبله عقلي .

– هذا محتمل جداً ولو كنت في مكانك لما اهتممت بالأمر .

– لست مهتمة في الواقع .

* * *

وجلست اليانور في ثوبها الأسود الرشيق أمام منضدة في المكتبة وقد انتشرت أمامها اوراق مختلفة ، وكانت قد فرغت من مقابلة الخدم ومسز بيشوب ، وجاء دور ماري جيرارد فدخلت الفتاة مترددة قالت :

– اطلبت رؤيتي يا مس اليانور ؟.

فتطلعت اليها لحظة ثم قالت :

– أوه ، نعم ماري ، تعالي اجلسي هنا .

فجلست الفتاة في المقعد الذي اشارت اليه اليانور وكان يواجه النافذة بحيث يسقط الضوء على وجهها ويكشف عن نقاء بشرتها وصفرة شعرها الجميل .

وقالت اليانور تحدث نفسها :

« أيمكن أن اكره هـذه الانسانة كل هذه الكراهية ولا تظهر على أساريري ؟! » .

ثم قالت بصوت مرتفع رقيق :

– أظنك تعرفين يا ماري ان عمتي كانت مغرمة بك مهتمة بمستقبلك .

فغمغمت ماري بصوت خافت

- كانت مسز ويلمان شديدة العطف عليّ دائماً .

- ولو اتيح لها أن تترك وصية - كما رغبت - لتركت لك مـــا يكفل مستقبلك ، ولولا انني أرجأت دعوة المحامي الى صبيحة اليوم التـالي لنفذت عمتي رغبتها ولذلك أحس اني مسؤولة عن حرمانك من جزء من ثروتهـا ولو يسير ، مما جعلني استشير مستر سيدون ونتفق على عمل ما يريح الراحـلة في قبرها ، وقد بدأت بالخدم حسب طول خدمتهم في هذا المنزل ، أمـــا انت فلست بطبيعة الحال من هذه الطبقة .

وتوقفت وهي تأمل أن تشعر الفتاة بوخز هذه الكلمات فلمـا لم يبد أي تبدل على قسمات وجهها بل راحت تصغي لما ستفضي به الوارثة بعـد ذلك ، استطردت اليانور قائلة :

- وبمجرد أن تثبت الوراثة قانوناً سأقوم بتوزيع جزء منها على المستحقين بحكم الواجب والاعتراف بالجميل ، وسيكون نصيبك الفي جنيه تتصرفين فيهما كيف تشائين .

فتضرجت وجنتا ماري فرحاً وهتفت :

- الفا جنيه ! هذا كرم منك يا مس اليانور !

- يسرني أن تطمئني على مستقبلك ، واني لأتساءل هـــل في رأسك مشروعات خاصة ؟

- نعم .. نعم .. سوف اتدرب على التدليك .. هذا ما تنصحني بـــه الممرضة هوبكنز .

- فكرة طيبة وسأتفق مع مستر سيدون على أن تتناولي حصتك في أقرب فرصة ممكنة ، بل في الحال لو أمكن .

- أنت طيبة جداً ، جداً ، يا مس اليانور .

- هذه رغبة العمة لورا ، هذا كل شيء على ما أظن .

وأحست ماري بأن الكلمات الأخيرة تعني طردها .
فنهضت على الفور في هدوء وقالت :
ـ أشكرك كثيراً جداً يا مس اليانور !
ثم غادرت الغرفة بينما جلست اليانور ذاهلة غائصة في لجة من الأفكار دون أن تتحرك او تطرف لها عين .
واخيراً بعد دقائق طويلة ، خرجت تبحث عن رودي ، ووجدته في غرفة الجلوس يطل من النافذة ، واستدار عندما شعر بوقع اقدام خلفه فبادرته اليانور قائلة :
ـ لقد انتهيت من كل شيء : خمسمائة جنيه لمسز بيشوب ومائة للطاهية وخمسون لكل من الخادمتين ميلي وأوليف وخمسة لكل من الآخرين . أما رئيس البستانيين ستيفنس فسيأخذ خمسة وعشرين جنيهاً وبقي اكهل جيرارد ساكن الكوخ لا أدري كم أعد له معاشاً طوال حياته الباقية ؟
وصمتت لحظة راحت تتفرس فيها وجه الشاب ثم استرسلت تقول :
ـ وسيكون نصيب ماري جيرارد الفي جنيه ، اتظن هذا ما كانت ترغب فيه عمتنا ؟
فأجاب دون ان ينظر اليها :
ـ حسناً جداً ، انك شديدة الحكم يا اليانور .
ثم استدار ليطل مرة اخرى من النافذة فأمسكت الفتاة أنفاسها قليلا ثم اندفعت تقول في سرعة وانفعال :
ـ هنالك ما أريد ان احدثك عنه ، سيكون لك نصيبك اللائق يا رودي .
ولما التفت اليها ووجهه يعصف بالغضب مضت تقول على الفور :
ـ كلا اصغ اليّ يا رودي ! ان العدالة تقضي بأن يكون لك نصيب في أموال عمك التي تركها لزوجته ، وهذا ما كان في نية العمة وحدثتني به مراراً ،

أما الآن وقد آلت إليّ جميع أموالها فلا أطيق الشعور بأني أسلبك مـا هو حق لك لا لسبب سوى أن العمة لورا لم تتمكن من كتابة وصيتها .

فامتقع وجهه وقال :

– يا إلهي ! أتعتقدين اني أترقب منحتك ؟

– قلت لك اني فقط لا أريد أن أسلبك ما هو من حقك وما كانت عمتي تريد أن تتركه لك من الأموال التي ورثتها عن زوجها .. عمك .

– أنا آسف يا عزيزتي الحق اني لا أدري ماذا يجب أن أقول وماذا يجب أن اعمل ؟

– يا لك من مسكين يا رودي !

واقتربت منه تخاطبه في رفق :

– أتعرف مـاذا أعدت ماري جيرارد لستقبلهـا ؟ سوف تتدرب على التدليك .

– حسناً .

– اصغ الي جيداً يا رودي ! بودي لو تتبع نصيحتي .

فاستدار يسألها :

– أية نصيحة تعنين !

– خذ إجازة وارحل إلى الخارج لمدة ثلاثة شهور مثلاً ، ارحل بمفردك واتخذ أصدقاء جدداً وشاهد أماكن جديدة ، دعنا نتكلم بصراحة أكثر : انك تعتقد في هذه اللحظة انك تحب ماري جيرارد :

وربما كنت كذلك ، ولكن هذه اللحظة غير مناسبة للاقتراب منها وإن كانت خطبتنا قد فصمت تماماً ،ولهذا يحسن أن ترحل إلى الخارج حراً طليقاً. لتعود بعد ثلاثة شهور حراً في أن تتخذ القرار الذي يروق لك، وسوف تعرف إذ ذاك إذا كنت حقيقة قد أحببت ماري جيرارد أم كانت عاطفتك نحوهـا مجرد إعجاب وقتي ولهفة عابرة ، حتى إذا تأكدت أنك تحبها أمكنك أن

تذهب اليها وأن تفضي اليها برغبتك وربما أمكنها في ذلك الوقت أن تصغي اليك وإلى لهفتك عليها .

فتقدم منها رودي وأمسك بيدها في راحته وقال :

– أنت رائعة يا اليانور .. ذكية .. مدهشة !. اني لأزداد إعجاباً بمواهبك وسأعمل ما تشيرين به عليّ .. سأرحل متحرراً من كل قيد ، وسوف أدرك هل ما بي حمى وافدة وحماقة طارئة ! كم انا مغرم بك يا اليانور ، شاكر للكرم الذي تغمرينني به

ثم قبلها دون أن يعي ووثب إلى الخارج .

* * *

وبعد يومين افضت ماري جيرارد للمرضة هوبكنز بما وعدتها به اليانور فهنأتها في حرارة وقالت :

– كثيرات غيرها يتناسين رغبات الموتى ولكنك لحسن الحظ وجدت في استقامة خلق اليانور ما يكفل مستقبلك .

– ومع ذلك أشعر انها لا تحبني .

– لا تتظاهري بالبراءة ان مستر رودريك مفتون بك ومن حق خطيبته أن تحقد عليك ، أتحبينه يا فتاة ؟

– لا أدري ! ولكنه لطيف

* * *

– لا تتعجلي يا فتاة من كانت في جمالك تستطيع – كما ألحت لي مرة المرضة أوبريان – أن تعمل في السينما ..

– وأبي ؟ كيف يجب ان اتصرف معه ؟ انه يرى ضرورة اعطائه بعض

المال الذي سأناله من اليانور !

– لا تعملي شيئاً من هذا القبيل ، إن مستر ويلمان لم ترد أن تعنيه بالذات .. انه أكسل رجل رأيته ولولاك لفقد عمله منذ سنوات .

– من عجب ألا تترك وصية من كانت تملك كل هذه الثروة .

– هكذا الناس يا ابنتي .. يرجئون كل شيء فلا تفعلي مثلهم .

– أليس مضحكاً أن تفكر مثلي في كتابة وصيتها وهي لا تملك شيئاً !

– بل ستكون لك ثروة صغيرة ولكن لها قيمتها فلمَ لا وقــد تعديت الحادية والعشرين من عمرك ؟

– لا داعي للعجلة على كل حال .

– هكذا أنت كالآخرين الذين نعيب عليهم إرجاء كل شيء .

ان تمتعك بالصحــة لا يحول دون أن تهشمك سيارة أو عربــة في أية لحظة .

فضحكت ماري وقالت

– أنا لا أعرف حتى كيف تكتب الوصية .

– من السهل أن تحصلي على استمارة من مكتب البريد .

وفي كوخ الممرضة هوبكــنز نشرت الاستمارة ونوقشت محتويات الوصية وسألتها ماري باسمة :

– من الذي يرثني إذا لم أترك وصية ؟

– والدك . إلا إذا ..

– .. لن أدعه يرثني ، افضل ان أترك ما أملك لخالتي في نيوزيلندا .

– هذا أفضل لأن والدك لن يعيش طويلا .

– ولكني لا أذكر عنوان خالتي ولم نسمع أخبارها منذ سنوات .

– لا يهم أتعرفين اسمها ؟

– ماري رالي .

– حسناً جداً . . اكتبي انك تتركين كل شيء لماري رالي أخت المرحومة اليزا رالي من أهالي هنتربري .

فانحنت ماري على الاستمارة تكتب ولما انتهت ارتعدت فجأة لأن ظلا وقف بينها وبين الشمس ، ولما رفعت رأسها رأت اليانور واقفة خارج النافذة تتطلع إلى الداخل . . وسرعان ما سألتها هذه :

– ماذا تفعلين باهتمام يا ماري ؟

فقالت هوبكنز باسمة :

– إنها تكتب وصيتها ؟

– تكتب وصيتها ؟

ثم ضحكت ضحكة هسترية وقالت :

– هذا شيء مضحك للغاية !

ثم استدارت وهي لا تزال تضحك ومضت بسرعة في طريقها بينما تمتمت هوبكنز قائلة :

– ماذا أصابها ؟

* * *

وفجأة شعرت اليانور بيد تسقط على ذراعها من الخلف فالتفتت على الفور لترى الدكتور لورد عابس الوجه يسألها :

– علام تضحكين هكذا ؟

فأجابت :

– الواقع . . لا أدري . .

– هذا رد أبله !.

فتضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت :

– لا بد اني عصبية أو شيء من هذا القبيل لأني عندمـــا شاهدت ماري

جيرارد في كوخ الممرضة هوبكنز تكتب وصيتها انفجرت في الضحك لسبب لا أعرفه .

– سأصف لك مقوياً لأعصابك .. هذا هو العلاج الناجع لمن يكتمون عن الغير حقيقة حالهم .

– لا شيء هناك على الاطلاق

– بل هناك أشياء كثيرة تكتمينها ولا تريدين أن تبوحي بها لأحد هل ستبقين هنا طويلاً ؟

– سأرحل غداً .

– ولماذا لا تقيمين هنا ؟

– لن أفعل هذا .. بل سأبيع الضيعة والقصر إذا حصلت على ثمن طيب يجب أن أعود إلى القصر الآن .

ومدت يدها قائلة :

– ماذا تظن في رأسي من الأفكار ؟

– هذا ما أود ان اعرفه .

– كل ما هنالك انني وجدت من المضحك أن تفكر ماري في كتابة وصيتها .

– ليس في الأمر موضع للغرابة ، بل كان واجباً أن تفطن مسز ويلمان الى أهمية ذلك فتكتب هي الأخرى وصيتها .

– نعم هذا صحيح .

– وأنت ؟ هل فكرت في كتابة وصيتك ؟

– أنا ؟ كلا لم أفكر في هذا قط ولكنني عندما أعود إلى المنزل سأكتب الى مستر سيدون في هذا الشأن .

– هذا عين الصواب .

* * *

ولما جلست إلى المنضدة في المكتبة مضت تكتب الى المحامي :

« عزيزي مستر سيدون

أرجو أن تكتب لي وصية لأوقعها .. وصية غاية في البساطة لأني أريد أن أترك كل شيء أمتلكه لرودريك ويلمان .

وفتحت الدرج ثم تذكرت إنها استعملت في هذا الصباح آخر طابع بريد لديها وأن هناك بعض الطوابع في مخدع النوم ، فمضت ترقى الدرج ولما عادت إلى المكتبة والطابع في يدها ، كان رودي واقفاً بجوار النافذة فقال يخاطبها:

– إذن سنغادر هنتربري في الغد ؟ إن لهذا المكان العزيز ذكريات لن تمحى من مخيلتنا !

– ما رأيك في أنني سأعمل على بيع هذا القصر .

– هذا خير ما تفعلين .

ثم ران عليهما صمت راحت الينور في أثنائه تلصق الطابع على خطابها الى المحامي .

الفصل السادس

تلقت الممرضة هوبكنز في ١٤ يوليو الخطاب التالي من زميلتها الممرضة أوبريان

كنت أود منذ بضعة أيام ان أكتب لك عن منزلي الجميل في (البورو) وان كانت أسباب الراحة فيه لا تعدل ما نعمت به في هنتربري ، ولعل أكثر ما يضايقني ندرة الخدمات وقلة مهارتهن . أما مريضي فشاب هادىء رقيق الحاشية كان يعاني التهاباً رئوياً ولكن الأزمة قد انقضت لحسن الحظ ، والذي أود ان اخبرك به ويدل على غرائب المصادفات انني وجدت في غرفة الاستقبال اطاراً كبيراً من الفضة على البيانو ولعلك لا تصدقينني إذا قلت لك ان الصورة التي في هذا الاطار هي نفس الصورة التي كانت ممضاة بتوقيع لويس في قصر ويلمان اي لنفس هذا الرجل ! ولما سألت الساقي عن صاحب الصورة قال إنها للسير لويس رايكر وفت شقيق الليدي راتري وأنه كان يعيش غير بعيد عن هنا ، ثم قتل في الحرب ، وعلمت انه كان متزوجاً وأن الليدي رايكروفت أدخلت مستشفى المجاذيب بعد زواجها مباشرة وأنها ما زالت بالمستشفى الى اليوم . ومعنى هذا ان السير لويس ومسز ويلمان كانا عاشقين وأن الرجل لم يستطع الزواج منها لأن امرأته كانت على قيد

الحياة في المستشفى .. فيالها من مأساة غرامية عجيبة .

أرجو أن تكتبي لي بكل أنبائك .

المخلصة : ايلين أوبريان

وفي اليوم نفسه - ١٤ يوليو - تلقت المرضة أوبريان الخطاب التالي من زميلتها هوبكنز ·

« عزيزتي أوبريان ..

كل شيء هنا يسير عادياً لولا ان هنتربري أصبحت مهجورة وقد غادرها جميع الخدم وكتب عليها الآن إعلان (للبيع) وقد شاهـدت مستر بيشوب منـذ يومين وهي تقيم مع اختها على مسيرة ميل وتتميز حنقاً لعرض هنتربري للبيع بعد أن كانت تؤكد أن اليانور سوف تتزوج رودي ويقيمان هنا أمـــا الآن فهي تؤكد ان هذا دليل على أن هذا الزواج لن يتم ، وكذلك رحلت مس اليانور الى لندن كما رحلت اليها ماري جيرارد لتتدرب فيها على التدليك ومن حسن حظها أن اقتنعت مس اليانور بمنحها الفي جنيه تشق بها طريقها في مستقبل أيامها .

أتذكرين الصورة المضاة باسم (لويس) التي كانت مسز ويلمان قد طلبتها في لهفة لتراها قبل موتها ؟ لقد صادف ان كنت اتحدث منذ يومـين مع مسز سلاتري حارسة الدكتور رانسام سابقاً ذلك الطبيب الكهل الذي خلفـــه الدكتور لورد .. فلما سألتها في معرض الحديث . ماذا تعرف عمن يحملون اسم (لويس) ذكرت السير لويس رايكروفت الذي قتل في نهـــاية الحرب وكان يقيم في (فوريس بارك) ولما ذكرت لها انه كان صديقاً لمسز ويلمان أكدت أنهما كانا أكثر من صديقين ولم تزد على ذلك ولكنني فسرت هـذا بأن مسز ويلمان كانت أرملة وربما كانت تمني نفسها بالزواج منه . غير أن مسز سلاتري قالت ما كان في وسعها أن تتزوجه لأن له زوجـة في مستشفى المجاذيب .

وهل تـذكرين الشاب الصبيح الوجه المدعو تيد بيجلاند الذي كان يحـوم حول ماري جيرارد ؟ لقد طلب الي أن أعطيه عنوانها في لنـدن ولكني لم أعطه شيئاً لأني واثقة أن الفتاة لا تراه الآن من طبقتها ، ولأني أعتقد أن رودي يهيم بها شغفاً منذ وقعت عيناه عليها أخيراً ، ولعـل هـذا هو سبب انفصام الخطبة بينه وبين اليانور . ذلك الانفصام الذي يكاد يـذهب بعقل اليانور ، والواقع اني أعجب لتعلقها العجيب بمستر رودريك ولا أجد فيه ما يبعث على هذا التعلق الشديد !

ويؤسفني أن أخبرك أن الكهل جيرارد تسوء صحته ويزداد توتر أعصابه حتى لقد صاح منذ أيام أن ماري ليست ابنته ولما عاتبته وطلبت اليه أن يخجل من كلامه تطلع الي ثم قال : « أنت لست حمقاء لا تعلمين شيئاً » ، ولكني سلقته بلساني لأن زوجته كانت وصيفة مسز ويلمان قبـل زواجهما وكانت فتاة شريفة طيبة .

المخلصة . جيسي هوبكنز »

وتلقت اليـانور من رودريك في اليوم التـالي (١٥ يوليو) الخطـاب التالي :

« عزيزتي اليانور

لقد تسلمت خطابك على التو وأظنك قد أحسنت كثيراً بالتفكـير في بيع هنتر بري وان كنت ستلاقين بلا شك بعض الصعوبات في التخلص من هذا البيت العتيق الذي لا تتوافر فيه أسباب الراحة الحديثة رغم تجـديده عدة مرات .

« الطقس هنا جميل ، وأقضي ساعات في البحر عازفاً عن الاختـلاط بالناس ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، كما أفكر في أن أقضي على ساحـل دالماسيا أسبوعاً أو اثنين وسيكون عنواني من ٢٢ الجاري شركة توماس كوك

بدافروبنيك حتى إذا استجد مـا أستطيع ان أعمله أمكن أن تتصلي بي على الفور .

المخلص المعجب الشاكر -- رودي »

وتلقت في ٢٠ يوليو الخطاب التالي من مستر سيدون :

« عزيزتي مس اليانور كارليـل

أرجو أن توافقي على ما يعرضه الميجر سمرفيل من شراء هنتربري بمبلغ ١٢٥٠٠ جنيه لأنه عرض سخي في الواقع ، وأرجو ان توافيني بموافقتـك بصفة عاجلة لأن الميجر عرضت عليه منازل أخرى في المقاطعة وليس لديـه مانع من استئجار المنزل بأثاثه لمدة ثلاثة شهور نكون أثنـاءهـا قد انهينـا الاجراءات الرسمية الخاصة بالبيع .

« اما عن الحارس جيرارد فلا داعي الآن للتفكير في اعـداد معاش له لأن الرجل كما سمعت قد اشتد به المرض ويحتمل ان يموت بين يوم وآخر .

« ولما كانت اجراءات الوراثة لم تتم بعد فقد صرفت لمس ماري جـيرارد مائة جنيه من حسابها .

« المخلص – ايدموند سيدون »

وفي يوم ٢٤ يوليه تلقت اليانور كارليل

لقد توفي الكهل جيرارد اليوم فهل من خدمة اؤديها ؟ سمعت انـك بعت المنزل للميجر سمرفيل وارجو ان تكون صفقة طيبة .

« المخلص – بيتر لورد »

وفي ٢٠ يوليه كتبت اليانور الى ماري جيرارد تقول :

« عزيزتي ماري

يؤسفني ان اسمع بوفـاة والدك ، لقد عرض علي الميجر سمرفيـل شراء هنتربري ويتعجل تسلمه ولذلك سأذهب الى هناك لأفحص اوراق عمي واخلي

المنزل مما يحسن التخلص منه فهل لك ان تعملي من جانبك على إخلاء الكوخ من متاع والدك ؟

أرجو لك الصحة والتوفيق في التدريب على التدليك ..

« المخلصة - اليانور كارليل »

وفي نفس اليوم كتبت ماري إلى الممرضة هوبكنز تقول :

« عزيزتي مس هوبكنز

أشكر لك خطابك عن والدي ويسرني انه لم يعان كثيراً ..

وقد تلقيت اليوم من مس اليانور انها باعت هنتربري وقد طلبت اليّ ان اخلي الكوخ في اقرب وقت فهل اطمع في ان تستضيفيني غـداً إذا حضرت تشييع الجنازة ؟ لا تهتمي بالرد في حالة الموافقة .

« المخلصة المحبة - ماري جيرارد »

الفصل السابع

عندما بلغت اليانور الطريق الرئيسي في يوم الخميس ٢٧ يوليــه ، صاحت فجأة صيحة سرور وعبرت الشارع هاتفة :

– مسز بيشوب !

– مس اليانور ؟ لو كنت أعلم انك في هنتربري لبادرت الى مقابلتــك بنفسي ، هل جئت معك بأحد من لندن لخدمتك ؟

فهزت اليانور رأسها وقالت :

– انا لست مقيمة في المنزل ، بل في فندق كنجز آرمز .

– هل بعته حقيقة .

– نعم . الى الميجر سمرفيل .. النائب الجديد الذي انتخب مكان نائبنــا الراحل ، ويسرني أن يشتري المنزل رجل يرغب في أن يشغله بنفسه وكان يؤلمني أن ينقلب الى فندق أو يهدم ليشيد في مكانه منزل على الطراز العصري .. ولولا انه اكبر من حاجتي لفكرت في أن أقيم به .

ثم نظرت الى المرأة في عطف وقالت :

– إذن أعطني علبة من السمك المحفوظ .

– أيروقك شيء من اثاث المنزل يا مسز بيشوب ؟

ـ الحق اني معجبة بالمكتب الصغير الذي بغرفة الاستقبال.
ـ خـذيه مع المقاعد التي من طرازه .
ـ شكراً على كرمك يا مس اليانور، ولهذه المناسبة اخبرك اني أقيم الآن مع اخي فهل اذهب لأقوم بما تحتاجين اليه من مساعدة
ـ كلا .. شكراً .
ـ اظنك تعلمين ان مارى جيرارد هنا وان جنازة والدهـا كانت بالامس وهي تقيم مع الممرضة هوبكنز وسمعت انهما ذهبتا في الصباح إلى الكوخ .
ـ أنا التي طلبت اليها إخلاء الكوخ .. سأمضي الآن وسأذكر رغبتك في المكتب والكراسي .

ومضت الفتاة الى الخباز فاشترت رغيفاً ثم الى بائع اللبن فابتاعت نصف رطل من الزبد وبعض اللبن ، واخيراً ذهبت الى البدال وطلبت بعض علبـة سمك السلمون وهي تقول :
ـ ارجو ان يكون السمك طازجاً لان كثيراً من الوفيات تحدث بسبب التسمم بالسمك . أليس كذلك .

فأجابها الرجل ويدعى « أبوت» :
ـ أؤكد لك أن هذا السمك طازج ومن أحسن الأصناف ولم يشك منه أحد من قبل.

ومضت من فورها فدخلت هنتربري من البوابة الخلفية وكان الجو صحواً حـــاراً ، ومساعد البستاني هوليك يشذب الزهور ـ وكان هو الخادم الوحيد الذي أبقت عليه ـ فلما شاهدها حياها في احترام وقال :
ـ لقد تلقيت خطابك يا سيدتي وفتحت النوافذ والباب الجانبي . بلغني أنك بعت المنزل فهل أطمع في توصية منك الى الميجر سمرفيل .
فأجابته باسمة :
ـ بالطبع يا هر ليك .

ـ شكراً يا سيدتي . كنا نتمنى أن يظل المنزل للعائلة .

ومضت الفتاة وقد شعرت بأنها أشبه بالسد المحطم تجرفه الأمواه والأمواج وراحت تحدث نفسها قائلة :

« لولا ماري جيرارد لبقيت ورودي في هذا المنزل الذي يذكرني كل ما فيه بطفولتنا الهانئة ؟ ترى أي سحر في الفتاة سلبه لبه بهذه السرعة العجيبة ان بالفتاة مزايا ومواهب تستحق الاعجاب ولكنه لا يعرف عنها شيئاً . اذن فهو الحب الذي يقول عنه الشعراء أنه وليد النظرة الأولى !ولو أن ماري ماتت - مثلا – لأفاق رودي من نشوته ولنجت روحه من تأثير هذا السحر الطاغي الذي يتملكه ! آه لو يحدث شيء لهذه الفتاة !

وأدارت مقبض الباب الخارجي فتملكتها رعدة كأنما يقبع شر في ذلك المنزل ! ومضت عبر الردهة الى الغرفة التي كان يحفظ فيها خزين المنزل فوضعت حملها من الزبد والخبز وزجاجة اللبن ، ثم فتحت علبة السمك المحفوظ وراحت تحملق فيها لحظة طويلة . وأخيراً غادرت القبو وارتقت الدرج الى الغرفة مسز ويلمان حيث راحت تخرج الملابس من الدولاب وتفتح الادراج وتفرز ما بها

في تلك الاثناء كانت ماري جيرارد في الكوخ تحدث الممرضة هوبكنز ، قالت :

– أصحيح ما قاله أبي في ثورته من انه ليس والدي ؟

فبدأ الارتباك على وجه الممرضة وقالت :

– اصغي الي يا ماري . ان المرضى وكبار السن كثيراً ما يهرفون في غضبهم فما بالك بمستر جيرارد الذي كان مهزم الاعصاب ، ولهذه المناسبة ماذا قررت أن تعملي بأثاث الكوخ؟

– لا أدري في الواقع ماذا يجب ان أعمله ماذا ترين ؟

– أرى ان تحتفظي بالمتين منه فتهيئي به شقة صغيرة في لندن .

ـ لقد كان المحامي مستر سيدون طيباً معي فارسل لي مائة جنيه « على الحساب لأبدأ بهاتدريبي على التدليك لأن بقية النقود لن أتسلمها قبل شهر على الأقل .

ومضت تبحث في أوراق ابيها القديمة ثم هتفت :

ـ هذه وثيقة زواج ابي وامي في سانت البان سنة ١٩١٩ ولكن ياالله !!

ـ ماذا يا ماري ؟

ـ نحن الآن في سنة ١٩٣٩ وسني ٢١ سنة فكيف ولدت إذن بعد سنة ١٩١٩ ؟ هذا معناه ان زواجهما كان بعد ولادتي !

فتجهمت اسارير الممرضة وقالت :

ـ كثيراً ما يحدث أن يتزوج العاشقان بعد أن يولد لهما طفل درءاً للفضيحة أو تكفيراً عن علاقتهما السابقة .. لا تهتمي كثيراً بذلك

ـ كلا . لقد كان أبي على حق عندما قال انني لست ابنته بل ان هذا يفسر كراهيته لي .

ـ الواقع انك لست ابنته يا ماري .

ـ وكيف عرفت ؟

ـ لقد تحدث أبوك عن هذا كثيراً قبل موته رغم محاولتي نهره واسكاته وحمله على الصمت والشعور بالخجل . ولولا الحاحه ، ولولا أنك ستعرفين الحقيقه عاجلاً أو آجلاً ما اضطررت الى الافضاء اليك بهذا الواقع المر .

ـ ومن هو والدي الحقيقي ؟

فترددت الممرضة قليلاً ولكنها ما أن فتحت فمها حتى اقفلته في الحال اشفاقاً على الفتاة أو لأنها شاهدت ظلاً يسقط عبر الحجرة ثم شاهدت اليانور واقفة في النافذة . وحدثتها هذه قائلة :

ـ طاب صباحك . لقد كنت أعد بعض الشطائر « السندويتش » فهل لكما في مشاركتي اياها وقد بلغت الساعة الواحدة وآن وقت تناول الغداء .

ان لدي ما يكفي ثلاثتنا .

ومضين ثلاثتهم الى الردهة الباردة ، وشعرت ماري باوصالها ترتجف فسألتها اليانور :

– ماذا بك ؟

فأجابتها : لا شيء . مجرد رجفة ، انني آتية من .. مكان الشمس.

– هذا عجيب ! لقد شعرت بمثل ذلك هذا الصباح !

فضحكت هوبكنز وقالت :

– بقي أن تجزما بوجود أشباح وأرواح .

وتقدمتهما الى غرفة الجلوس الى يمين الباب الخارجي حيث كانت الستائر مرفوعة فزايلت الفتاتين كآبتهما وعاودهما المرح ، ومضت اليانور عبر الردهة ثم عادت تحمل صحفة كبيرة عليها الشطائر وقدمتها أولاً الى ماري التي تناولت احداها ، ووقفت اليانور ترمقها لحظة وهي تلتهم « السندويتش » في فمها الصغير باسنانها الناصعة . ثم سرح خاطرها وأخيراً انتبهت الى شفتي هوبكنز تنفرجان عن جوع ، فأسرعت تقدم إليها الطعام !

ثم تناولت بدورها احدى الشطائر ، وقالت معتذرة :

– نسيت أن أحضر اللبن لعمل القهوة ، ولكن توجد بعض زجاجات من الجعة لمن تريد منكما .

فقالت هوبكنز :

– لو أني تذكرت لجئت ببعض الشاي .

– يوجد شاي في غرفة كبير الخدم .

فأسرعت هوبكنز تحضر بعضه وقد أشرقت أساريرها وبقيت اليانور وماري وحدهما معاً ، فسرى في الجو شعور عجيب من التوتر حاولت اليانور أن تخفيه وقالت :

– هل أحببت عملك في لندن ؟

ـ نعم .. أشكرك ولن أنسى لك هذا الفضل ، ولكن ماذا حدث ؟

ـ ماذا ؟

ـ انك تحملقين في وجهي بشدة .

فضحكت اليانور وقالت :

ـ أحقاً ؟. هذه عادتي عندما أكون غائصة في التفكير . أنا آسفة .

وأطلت هوبكنز قائلة :

ـ سأضع آنية الشاي على النار .

وانفجرت اليانور مرة أخرى في نوبة فجائية من الضحك وقالت تحدث ماري :

ـ أتذكرين أيام كنا طفلتين .. أتحبين العودة إلى هذا العهد ؟

ـ نعم نعم .. ولكن يجب ألا تعتقدي يا مس اليانور ..

ولكنها توقفت عن الكلام عندما شاهدت جسم اليانور يتصلب فجأة ثم سمعتها تقول في صوت ثاقب :

ـ ماذا يجب ألا أعتقده ؟.

ـ نسيت ما كنت .. أريد أن أقوله ..

وقدمت هوبكنز تحمل صحفة عليها ثلاثة أقداح من الشاي واللبن فزال توتر اليانور وقالت :

ـ شكراً .. تناولا أنتما الشاي فليست بي رغبة في شرب شيء..

ثم دفعت الصحفة أمام ماري .. وبعد أن فرغت هوبكـنز من احتساء قدحها قالت :

ـ سأذهب الآن لأطفىء الموقد فقد تركته موقداً تحسباً لطلبه المزيد من الشاي .

وتقدمت اليانور من النافذة فالتقطت صحفة الشاي ووضعت عليها طبق « السندوتش » الفارغ ، وحينئذ وثبت ماري قائلة :

ـ أوه يا مس اليانور .. هاتي عنك !

فقالت لها اليانور في حدة :

ـ كلا .. أبقي أنت في مكانك واتركي لي هذا .

ثم حملت الصحفة إلى خارج الردهة وتطلعت الى الخلف من فوق كتفها إلى ماري التي وقفت بجانب النافذة وقد اكتمل جمالها وشبابها . وكانت هوبكنز في القبو تمسح وجهها بمنديلها فلما شاهدت اليانور مقبلة عليها قالت :

ـ ما أشد الحر هنا !

ثم تقدمت تأخذ الصحفة منها قائلة :

ـ دعيني أغسلها يا مس كارليسل ..

وراحت ترفع كميها ونظرت اليانور إلى رسغها وقالت :

ـ هل جرحت نفسك ؟.

فأجابت ضاحكة :

ـ دخلت شوكة من شجر الورد في رسغي وسوف انتزعها :

ـ أين ؟.

ـ عند سور الورود حول الكوخ ..

ورفعت اليانور علبة السمك المحفوظ الفارغة عن المنضدة ثم وضعتها في الحوض بين الأقداح والصحاف . ولما انتهت هوبكنز من مهمتها عادت كلتاهما ترقيان الدرج الى غرفة مسز ويلمان ، وهناك ساعدت « الممرضة » اليانور في فرز الملابس التي يحسن منحها لبعض الفقيرات من الجارات .

وفجأة .. تساءلت الممرضة :

ـ هل ذهبت ماري الى الكوخ ؟

فأجابتها اليانور :

ـ لقد تركتها في غرفة الاستقبال .

ـ لا يمكن أن تبقى هناك طوال هذا الوقت .

ثم تطلعت إلى ساعتها وقالت :
- لا يمكن لأننا مكثنا هنا حوالي ساعة كاملة .
وأسرعت تهبط الدرج فتبعتها اليانور وما لبثت هوبكنز أن صاحت :
- ما كنت أتصور هذا . لقد غلب عليها النوم .
وكانت ماري جالسة في مقعد كبير بجوار النافذة وقد سقط رأسها على صدرها فهزتها الممرضة لتوقظها قائلة :
- استيقظي يا عزيزتي .
ثم سكتت فجأة وانحنت على الفتاة وراحت تهزها من جديد .. وأخيراً التفتت إلى اليانور وقالت وفي صوتها نبرة تهديد :
- ما معنى هذا ؟!
- لا أعلم ماذا تعنين ؟ أهي مريضة ؟
- أين التليفون ؟ اتصلي بالدكتور لورد بأسرع ما تستطيعين .
- ماذا جرى !
- الفتاة تموت .
- تموت ؟
- لقد سممت ..
وحدجت اليانور بنظرة ثاقبة .. مليئة بالشك والوعيد .

الفصل الثامن

راح هركيول بوارو يرقب الشاب الذي مضى يذرع الغرفة جيئة وذهاباً في عصبية ثم قال :

— حسناً يا صديقي .. ما الخطب ؟

ووقف بيتر لورد في مكانه وكأنه قد شل ثم قال :

— مسيو بوارو .. أنت الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه مساعدتي.. لقد سمعت ستيلنج فليت يتحدث عنك وقد ذكر لي ما صنعته في قضية بندكت فارلي وكيف أن كل أمرىء ظن أن الأمر انتصار حتى جئت أنت فـأثبت انها جريمة قتل .

فقال بوارو :

— هل عندك قضية انتحار بين مرضاك لا تشعر بارتياح اليها ؟

فهز بيتر لورد رأسه ثم جلس مواجهاً بوارو وقال :

— هناك سيدة صغيرة .. قبض عليها وستحاكم بجريمة قتل وأنا أريد منك أن تجد ما يثبت إنها لم ترتكب تلك الجريمة .

وارتفع حاجبا بوارو قليلاً ثم قال في صوت خافت :

— هل أنت وتلك السيدة الصغيرة خطيبان ؟

– نعم .

– هل يحب كل منكما الآخر ؟

وضحك بيتر لورد وقال :

– لا ليس الأمر كذلك .. ان ذوقها سيء لأنها تفضل حماراً ذا انف كبير ووجه كوجه حصان مجنون . غباء منها .. ولكن هكذا الحال .

فقال بوارو :

– حسناً .

وقال لورد بمرارة :

– أنت تقول حسناً .. لا داعي لأن تكون دبلوماسياً في هذا الموضوع . لقد وقعت في حبها منذ اللحظة الأولى .. ولذلك لا أريد أن تشنق .

فسأله بوارو :

– ما هي التهمة الموجهة اليها !

– إنها متهمة بأنها قتلت فتاه تدعى ماري جيرارد بتسميمها بهيدرو كلوريد المورفين .. ومن المحتمل انك قرأت نتيجة التحقيق في الصحف .

فسأله بوارو :

– وما الدافع إلى الجريمة ؟

– الغيرة .

– وفي رأيك أنها لم ترتكب تلك الجريمة ؟.

– بالطبع لا .

ونظر اليه بوارو مفكراً برهة ثم قال :

– ما هو بالضبط الذي تريد مني عمله ؟. أتحرى الموضوع ؟

– أريد منك أن تنقذها .

– لست محامي دفاع ياعزيزي .

– سأجعل الموضوع أكثر وضوحاً لك .. أريد منك أن تجد دليلاً يساعد

محاميها على انقاذها .

فقال بوارو :

– أنت تقول ذلك بطريقة غريبة بعض الشيء .

فقال بيتر لورد :

– ما أريده ببساطة هو الافراج عن تلك الفتاة وأظن انك الرجل الوحيد الذي يمكنه ذلك .

– تريد مني أن اتحرى الحقائق ؟ أي أن اجد الحقيقة ؟. واكتشف ما حدث فعلاً ؟.

– أريد ان تجد أي نوع من الحقائق يمكن أن يكون في مصلحتها .

وأشعل بوارو سيجارة رفيعة في عناية ودقة ثم قال :

– ولكن الحقيقة سلاح ذو حدين .. لنفرض اني وجدت حقائق ضد السيدة ؟ أتطلب مني الا أعلنها ؟

ووقف بيتر لورد وهو شاحب الوجه وقال :

– هذا مستحيل . انك لن تجد ضدها أكثر من الحقائق الموجودة الآن .. ان الأدلة التي ضدها مدمرة تماماً .. ولن تستطيع العثور على شيء يدينها أكثر مما هي عليه الآن .. اني اسألك أن تستخدم كل عبقريتك حتى تجد ثغرة .. أية ثغرة .

فقال بوارو :

– من المؤكد أن المحامين عنها سيفعلون ذلك ؟.

وضحك الشاب ضحكة استهزاء وقال :

– أتراهم سيفعلون ذلك ؟. لقد يئسوا قبل أن يبدأوا فهم يظنون ان القضية لا أمل فيها .. وقد استشاروا بولمر .. وذلك اعتراف ضمني منهم بفشلهم .. فليس بولمر إلا خطيباً فذا بارعاً في التوسل والتباكي .. وسيعتمد على صغر سن المتهمة لإثارة شفقة المحلفين .. ولكن القاضي لن يدعه يستغل ذلك ..

فقال بوارو :

– ولنفرض انها مذنبة .. هل تريد رغم ذلك أن يفرج عنها ؟.

فقال بيتر لورد في هدوء

– نعم ..

وتحرك بوارو في مقعده وقال ·

– انك تثير اهتمامي .

وبعد دقيقة أو دقيقتين قال :

– أظن انه من الأفضل ان تذكر لي الوقائع بدقة .

– ألم تقرأ عنها شيئاً في الصحف ؟.

فلوح بوارو بيديه وقال :

– قرأت شيئاً عنها . ولكن الصحف لا تتحرى الدقة وانا لا آخذ أبداً بما تقول ·

فقال بيتر لورد

– ان الأمر بسيط جداً . هذه الفتاة اليانور كارليسل .. كانت قد ورثت منزلاً قريباً من هنا يدعى هنتربري هول .. ومعه ثروة لا بأس بها ورثتها عن عمتها التي ماتت دون ان تترك وصية .. وكان للعمة قريب من ناحية زوجها اسمه رودريك ويلمان .. وكان خاطباً لاليانور كارليسل منذ زمن طويل ، اذ كان كل منهما يعرف الآخر منذ الطفولة .. وكانت هناك فتاة أخرى في هنتربري .. اسمها ماري جيرارد . ابنة حارس المنزل ، وكانت العجوز مسز ويلمان تهتم بها اهتماماً كبيراً .. فدفعت نقوداً لتعليمها الخ .. ونشأت الفتاة سيدة محترمة . ويبدو أن رودريك ويلمان أحبها ولذلك فسخ خطبته .

والآن ننتقل الى ما حدث . عرضت اليانور كارليسل المنزل للبيع واشتراه رجل يدعى س رفيل وحضرت اليانور لتأخذ أمتعة عمتها الخاصة . وكانت ماري جيرارد التي توفي والدها حديثاً قد حضرت لاخلاء الكوخ الملحق الذي

كان يقظن به أبوها هذا يصل بنا إلى يوم ٢٧ من يوليو في الصباح .

كانت اليانور كارليسل تقيم في الفندق وفي الطريق قابلت مـدبرة المنزل السابقة مسز بيشوب واقـترحت مسز بيشوب ان تذهب معهـا الى المنزل لمساعدتها ورفضت اليانور باصرار .. ثم ذهبت الى « البقال » واشترت علبة سمك وهناك ابدت ملاحظة عن التسمم من المـأكولات .. شيء في منتهى البراءة .. ولكنهم بالطبع اتخذوه دليلا ضدهـا .. ثم ذهبت الى المنزل . وحوالى الساعة الواحدة ذهبت الى الكوخ حيث كانت ماري مشغولة مع ممرضة الحي وهي امرأة فضولية تدعى هوبكنز كانت تساعدها وذكرت لهما ان عندها شطائر في المنزل ، فذهبتا معها الى هناك واكلتا الشطائر وبعد حوالى ساعة استدعيت فوجدت ماري جيرارد غائبة عن وعيها .. وبذلت قصارى جهدي ولكن بلا فائدة .. وأوضح التشريح ان هناك كمية من المورفين تناولتها ماري قبل ذلك بفترة قصيرة ثم وجد « البوليس » بطاقة من التي تلصق على زجاجات الأدوية في المكان الذي كانت اليانور كارليسل تعد فيه الشطائر وقد كتب عليها (هيدروكلو المورفين)

– وهل أكلت ماري جيرارد أو شربت شيئاً آخر ؟

– لقد صنعت الممرضة الشاي وكانت ماري هي التي صبته في الأقـداح ولا يمكن ان يكون فيه شيء بطبيعة الحال ، أنا اتوقع ان الدفاع سيستغل استغلال موضوع الشطائر ويقول ان الثلاثة قـد اكلن منهـا وعلى ذلك فمن المستحيل ان نضمن ان شخصاً واحداً معيناً يمكن تسميمه عن طريقها وقد قيل ذلك كما تذكر في قضية مشابهة هي قضية هيرن .

فأومأ بوارو برأسه وقال :

– ولكن الواقع ان الموضوع بسيط جداً .. إذ يمكنك عمل مجموعة من الشطائر وفي واحدة منها فقط تضع السم ثم تقدم الطبق .. وفي عالمنا المتمدن نعرف ان الشخص الذي تقدم اليه الشطائر سيأخذ اقرب شطيرة اليه . واظن

أن اليانور كارليسل قدمت طبق الشطائر أولاً إلى ماري جيرارد ؟.

– تماماً ..

– رغم ان الممرضة الأكبر سناً كانت في الغرفة ؟

– نعم .

– هذا شيء لا يبدو حسناً .

– إن هذا لا يعني شيئاً حقاً .. فأنت لا تراعي الواجبات في نزهة مثلاً .

– الذي أعد الشطائر ؟

– اليانور كارليسل .

– هل كان هناك فرد آخر في المنزل ؟.

– لا أحد

فهز بوارو رأسه وقال :

– هذا سيىء .. وتقول إن الفتاة لم تتناول شيئاً سوى الشاي والشطائر .

– لا شيء .. ومحتويات المعدة تؤكد ذلك .

فقال بوارو :

– هناك نقطة أخرى فاذا كان تسميم الغــذاء هو المقصود .. فلمــاذا لم يتم اختيار سم آخر .. فعوارض التسمم بالمورفين لا تشبه حتى في القليــل أعراض التسمم الغذائي . وكان الأتروبين يعد اختياراً أفضل .

فقال بيتر لورد ببطء :

– نعم .. هذا صحيح .. ولكن هناك شيء آخر فهذه الممرضة اللعينــة تقسم انها فقدت أنبوبة من المورفين في الليلة التي ماتت فيها مسز ويلمان .. وتقول الممرضة إنها تركت حقيبتها في « الصالة » وفي الصبــاح اكتشفت عدم وجود انبوبة من المورفين كانت فيها .. كل هذا كلام « فارغ » .. أنا متيقن من ذلك .. ربما تكون قد كسرتها في المنزل قبل ذلك ونسيت .

– تقول إنها تذكرت تلك الأنبوبة فقط عند موت ماري جيرارد .

فقال بيتر لورد :

- الحقيقة .. إنها ذكرت ذلك في وقته . للممرضة التي كانت عليها الخدمة وقتئذ .

وراح بوارو ينظر إلى بيتر لورد ببعض الاهتمام .

ثم قال في رقة :

- أظن يا عزيزي ان هناك شيئاً آخر .. لم تذكره لي بعد ..

فقال بيتر لورد :

- أوه . حسناً . أظن أنه من الأفضل أن أذكر لك كل شيء لقد تقدموا بطلب للتشريح جثة مسز ويلمان .

- حسناً ..

- فاذا فعلوا ذلك . فمن المحتمل إنهم سيجدون ما يبحثون عنه .

- المورفين ؟. وهل كنت تعرف ذلك ؟

فقال بيتر لورد وقد ابيض وجهه :

- لقد شككت في الأمر .

ومضى بوارو يدق بقبضته على ذراع المقعد ثم هتف :

- يا إلهي .. أنا لا أفهم هذا .. هل كنت تعلم عندما ماتت . إنها ماتت مقتولة ؟.

فصاح بيتر لورد :

- يا لله . كلا ، لم أتصور شيئاً كهذا قط .. لقد ظننت انها تناولته بنفسها .

واستند بوارو على مقعده وقال

- آه هل خطر لك ذلك ؟

- طبعاً إنها تحدثت معي في هذا الشأن .. وقد سألتني أكثر من مرة إذا كنت لا أنهي كل شيء بالنسبة لها فقد كانت تكره المرض .. وعدم إمكانها

القيام بعمل شيء .. كانت ترى ذلك مهيناً للكرامة . أن ترقد ويعنى بهـــا كطفلة .. وكانت سيدة قوية العزيمة .

وسكت برهة ثم قال :

ـ لقد دهشت لموتها فلم أكن أتوقعه ولذا أخرجت الممرضة من الغرفـة وبدأت اكشف عليها بدقة على قدر إمكانياتي وبالطبع كان من المستحيـل التيقن بدون إجراء تشريح . ولكن أية فـائدة كانت ترجى من ذلك ؟ فاذا كانت قد اختارت أن تنهي حياتها فلماذا نعلن ذلك على المـلأ ونسبب فضيحة .. من الأفضل التوقيع على شهادة الوفاة لتدفن في هـدوء .. ومع كل .. فأنا لم أكن متيقناً ربما أكون قد قررت الشيء الخطـــأ .. ولكنني لم أتصور لحظة واحدة ان في الأمر جريمة . كنت متيقناً إنهـــا فعلت ذلك هي نفسها .

فسأله بوارو :

ـ كيف تظن انها حصلت على المورفين ؟.

ـ ليس عندي أدنى فكرة ولكني أقول لك . إنها كانت امرأة ذكية لا تعدم الحيلة وقوة العزيمة .

ـ أتظن أنها أخذته من الممرضات ؟.

فهز بيتر لورد رأسه :

ـ لا يمكن . أنت لا تعرف الممرضات .

ـ من أحد أفراد أسرتها إذن ؟

ـ ممكن .. ربما تكون قد أثرت على مشاعرهم .

فقال بوارو :

ـ ذكرت لي أن مسز ويلمان ماتت دون أن تترك وصية . فلو أنها عاشت هل كانت ستكتب وصية ؟

فابتسم بيتر لورد وأجاب :

– أنت تضع اصبعك في مهارة شيطانية على جميع النقاط الهامة .. نعم كانت ستكتب وصية .. وكانت مضطربة جداً لهذا السبب . كانت لا تعرف التكلم بصوت مفهوم ولكنها جعلت رغبتها مفهومة لنا وكان على اليانور كارلسيل أن تتحدث إلى المحامي بالتليفون في صباح اليوم التالي .

- إذن كانت اليانور كارليسل تعرف إن عمتها تريد كتابة وصية ؟. وانه إذا ماتت عمتها بدون كتابة وصية .. فانها ترث كل شيء ؟.

فقال بيتر لورد بسرعة :

– لم تكن تعرف ذلك .. لم تكن لديها أية فكرة في أن عمتها لم تكتب وصية فقط .

– هذا يا صديقي ما تقوله هي .. ربما كانت تعرف ذلك .

– اسمع يا مسيو بوارو .. هل أنت محامي الإدعاء ؟.

– في هذه اللحظة . نعم .. لا بد أن أعرف مقدار قوة الاتهام ضدها .. هل كانت اليانور كارليسل تستطيع أن تأخذ أنبوبة المورفين من الحقيبة ؟.

– نعم . وكان يستطيع ذلك أي شخص آخر .. رودريك ويلمان .. الممرضة أوبريان . أي فرد من الخدم ..

– أو الدكتور لورد ؟.

وزاد اتساع عيني الدكتور لورد وقال :

– طبعاً .. ولكن ماذا أفيد من ذلك ؟

– بدافع الرحمة .

فهز بيتر لورد رأسه وقال :

- لا .. وعليك أن تصدقني .

وأسند بوارو ظهره إلى المقعد ثم قال :

– دعنا نفرض شيئاً . لنقل ان اليانور كارلسيل أخذت فعلاً أنبوبة المورفين من الحقيبة وقدمته فعلاً لعمتها . فهل قيل شيء عن فقد المورفين ؟

ـ لم يذكر شيء للخدم فقد احتفظت الممرضتان بالسر بينهما ..

فقال بوارو :

ـ ما رأيك فيما سيقوله الإدعاء ؟.

ـ أتعني إذا وجد في جسد مسز ويلمان مورفين ؟.

ـ نعم .

فقال بيتر لورد :

ـ من الممكن انه اذا أفرج عن اليانور في التهمة الحالية فانهـــا قد يعاد القبض عليها وتسند اليها تهمة قتل عمتها .

فقال بوارو :

ـ إن الدوافع تختلف .. اعني انه في حالة مسز ويلمان نجد ان الدافع قد يكون المغنم على حين نجد في حالة ماري جيرارد ان الدافع مفروض أن يكون الغيرة .

ـ هذا حقيقي .

فقال بوارو :

ـ ما هو الأساس الذي سيتبناه الدفاع ؟.

فقال بيتر لورد :

ـ يقترح بولمر أن يبني دفاعه على أساس عدم وجود اي دافع وسيقـدم نظرية تقول ان الخطوبة بين اليانور ورودريك كانت إجراء عائلياً أملتـــه اسباب عائلية لإرضاء مسز ويلمان وانه في اللحظة التي توفيت فيها السيـدة العجوز قامت اليانور نفسها بفسخها وسيقدم رودريك مـا يثبت ذلك وأظن انه يكاد يؤمن بهذه الحقيقة .

ـ يؤمن بأن اليانور لم تكن تعنى به إلى حد كبير ؟.

ـ نعم .

ـ في هذه الحالة لن يكون لديها سبب يدعوها لقتل ماري جيرارد .

– تماماً .

– وإذا صح ذلك فمن الذي قتل ماري جيرارد ؟

فقال بيتر لورد في حنق :

– هذا هو الموضوع .. اذا لم تكن قد قتلتها فمن الذي فعل ذلك ؟ .. عندنا الشاي .. ولكن كل من الممرضة هوبكنز وماري شربتا منه . سيحاول الدفاع أن يوحي بأن ماري جيرارد تناولت هي نفسها المورفين بعد أن خرجت الاثنتان الأخريان من الغرفة . وانها في الواقع قد انتحرت ..

– هل هناك أي سبب يدعوها للأنتحار ؟ .

– لا شيء على الاطلاق .

– هل هي من النوع الذي يقدم على الانتحار ؟ .

– لا .

فقال بوارو :

– صف لي ماري جيرارد ..

ففكر بيتر لورد ثم قال :

– حسناً .. كانت فتاة ظريفة .. نعم .. بالتأكيد .. كانت فتاة ظريفة .

وتنهد بوارو ثم تمتم :

– وهذا الشخص رودريك ويلمان .. هل وقع في غرام ماري جيرارد لأنها فتاة ظريفة ؟ .

وابتسم بيتر لورد وقال :

– أوه .. لقد عرفت ما ترمي اليه .. لقد كانت جميلة .

– وأنت نفسك .. ألا تشعر نحوها بشيء ؟ .

– يا لله .. نعم .

وتمعن بوارو في ذلك الرد فترة ثم قال :

– يقول روديك ويلمان أن صلة عاطفية كانت بينه وبين اليانور كارلسيل ..

ولكن لا شيء أكثر من ذلك . فهل توافق على هذا الزعم ؟

– كيف لي ان اعلم ؟

فهز بوارو رأسه وقال :

– لقد ذكرت لي عندما دخلت هذه الغرفة ان اليانور كارلسيل ذات ذوق سيء حتى انها احبت حماراً ذا أنف كبير .. هذا على ما أظن كان وصفك لروديك ويلمان .. ومعنى هذا أنها تهتم به جداً ..

فقال بيتر لورد :

– أنها تهتم به جداً ..

فقال بوارو :

– إذن كان هناك دافع .

فاستدار بيتر لورد وقد ملأ الغضب وجهه وقال :

– وماذا في ذلك ؟ ربما تكون قد ارتكبت الجريمة .. نعم .. أنا لا أبالي اذا كانت قد فعلت ذلك .

فقال بوارو :

– آه .

– ولكنني لا أود أن أراها تشنق .. دعني أقل لك هذا .. هب انها فعلت ذلك في حالة يأس ؟ فالحب يولد اليأس أحياناً .. لنفرض أنها فعلت ذلك أليست لديك أية رحمة ؟ .

فقال بوارو :

– أنا لا أوافق على القتل .

فقد سممت ماري جيرارد بالمورفين ولا بد أنها تناولته في « السندويتش » ولم يلمس أحد تلك الشطائر غير اليانور كارلسيل وكان لدى الأخيرة الدافع لقتل ماري جيرارد وهي في رأيك قادرة على قتل ماري جيرارد ومن المحتمل جداً أن تكون قد قتلت ماري جيرارد ولا أرى أي سبب يدفعني الى أن

أصدق غير ذلك .

هذا وجه واحد من وجوه المسألة والآن ننتقل الى الوجه الآخر ونبحث الموضوع من الزاوية المضادة . اذا لم تكن اليانور كارلسيل قد قتلت ماري جيرارد . فمن الذي فعل ذلك ؟ هل ماري جيرارد انتحرت ؟ .

واستقام بيتر لورد في جلسته وبان التقطيب في جبهته وقال :

- لم تكن دقيقاً جداً الآن .

- أنا ؟ .. غير دقيق ؟ .

- قلت أنه ليس هناك شخص آخر لمس تلك الشطائر غير اليانور كارلسيل .. انت لا تعرف ذلك ..

- لم يكن هناك أحد في المنزل غيرها .

- هذا على حسب ما نعلم ولكنك تستبعد فترة قصيرة من الزمن .. هي الفترة التي غادرت فيها اليانور كارلسيل المنزل وذهبت الى الكوخ . وفي خلال تلك الفترة من الزمن كانت الشطائر على طبق في المطبخ وكان في امكان شخص ما أن يفعل بها ما يشاء.

وجذب بوارو نفساً عميقاً وقال :

- أنت مصيب يا صديقي .. وأنا أعترف بذلك . كانت هناك فترة من الزمن يستطيع خلالها أي فرد أن يجد سبيله إلى طبق « السندويتش » وعلينا أن نكون فكرة عمن قد يكون هذا الشخص .

وصمت . ثم قال :

- دعنا نفحص ماري جيرارد هذه شخص ما ، غير اليانور كارليسل .. يرغب في موتها . لماذا ؟ هل يفيد شخص ما من موتها ؟. هل لديها مال تتركه بعدها ؟.

فهز بيتر رأسه وقال :

- ليس الآن .. بعد شهر آخر كانت ستتسلم الفين من الجنيهات ، وكانت

اليانور كارليسل قد قررت لها هذا المبلغ لأنها اعتقدت ان عمتها كانت ترغب في ذلك .. ولكن لم يتم تصفية تركة السيدة المجوز بعد .

فقال بوارو :

– إذن يمكننا استبعاد المادة .. أنت تقول إن ماري جيرارد كانت جميلة والجمال دائماً له مضاعفات .. هل كان لها معجبون ؟

– من المحتمل . ولكنني لا أعرف الشيء الكثير عن ذلك .

– من إذن يعرف ؟ .

فابتسم بيتر لورد وقال :

– لا بد أن اقدمك إذن الى الممرضة هوبكنز فهي تعرف كل شيء يحدث في ميدنز فورد .

– كنت سأسألك عن انطباعاتك بالنسبة للممرضتين .

- حسناً .. الممرضة اوبريان ايرلندية .. ممرضة جيدة .. ساذجة قليلا .. يمكن أن تكون ذات لسان مقذع .. كاذبة قليلا من النوع الذي يهيم في دنيا الخيال .

فأومأ بوارو برأسه .

– أما الممرضة هوبكنز فهي عاقلة . ذكية .. متوسطة العمر طيبة جداً .. ولكنها تهتم أكثر من اللازم بشؤون غيرها .

- إذا كان هناك بعض المشاكل بسبب شاب في القرية هل كانت الممرضة هوبكنز تعرف ذلك ؟

– لك أن تراهن على ذلك ..

ثم أضاف في بطء :

- وعلى كل حال فأنا لا أرى شيئاً واضحاً في هذا النوع من التفكير .. فماري لم تمكث في القرية طويلا إذ كانت في المانيا طوال العامين الماضيين .

– كان عمرها واحداً وعشرين عاماً ؟

ـ نعم .

ـ ربما تكون هناك بعض التعقيدات الالمانية .

فانبسط وجه بيتر لورد وقال في لهفة :

ـ أتعني أنه ربما يكون هناك شخص ألماني كان ناقماً عليها ؟. ربمـــا يكون قد تبعها إلى هنا ، وانتظر حتى جاء الوقت المناسب .. وأخـــيراً حقق هدفه ؟.

فقال بوارو في شك :

ـ هذا مبالغ فيه قليلاً .

ـ ولكنه ممكن ؟.

ـ انه ليس محتملاً .

فقال بيتر لورد :

ـ أنا لا أوافقك .. ربما يكون هناك شخص قـد أحب الفتـاة وغضب بشدة عندما أعرضت عنه وربما يكون قد تصور إنها قد عاملته معاملة سيئة .. إنها مجرد فكرة ..

ـ إنها فكرة .. نعم ..

قالها بصوت لا يشجع ..

فقال بيتر لورد بصوت فيه نبرة توسل .

ـ استمر يا مسيو بوارو .

فقال بوارو :

ـ ارى انك تريد مني أن اكون مثل الحاوي أخرج لك من القبعة الخاوية أرنباً بعد ارنب .

ـ يمكنك أن تقول ذلك إذا أحببت ..

فقال بوارو :

ـ هناك احتمال آخر .

– استمر ..

– لقد أخذ شخص ما أنبوبة مورفين من حقيبة الممرضة هوبكنز في تلك الليلة من شهر يونيو . فلنفرض ان ماري جيرارد رأت الشخص الذي فعل ذلك ؟

– كانت تعلن ذلك .

– كلا .. كلا .. يا عزيزي ، كن معقولاً ، إذا كانت اليانور كارليسل أو رودريك ويلمان ، أو الممرضة اوبريان أو اي واحد من الخدم قد فتح الحقيبة واخذ منها أنبوبة صغيرة فما الذي يدور بخلد ماري جيرارد التي رأت ذلك ؟

ببساطة سيدور بخلدها أن الشخص المذكور قد أرسلته الممرضة ليحضر شيئاً من الحقيبة .. وسيزول الموضوع من ذهن ماري جيرارد .. ولكن من المحتمل . انه بعد ذلك .. ربما تتذكر تلك الواقعة وربما تذكرها بطريقة عرضية الى الشخص موضوع حديثنا .. بدون أن يكون لديها أي شك فيه . فاذا كان هذا الشخص هو المذنب في جريمة قتل مسز ويلمان فلك ان تتخيل نتيجة ذلك التصريح .. لقد رأته ماري .. وعلى ذلك يا صديقي ان أي شخص يرتكب جريمة قتل مرة يجد من السهل ارتكاب جريمة أخرى

فقال بيتر وهو مقطب الجبين :

– لقد كنت على يقين طوال الوقت ان مسز ويلمان نفسها اخذت المورفين وانتحرت به

– ولكنها كانت مشلولة .. عاجزة .. وكانت قد أصيبت تواً بنوبة ثانية .

– أنا أعرف .. وكانت فكرتي انها حصلت على المورفين بأية طريقة .. وانها حفظته في مكان أمين بجوارها .

– ولكنها في هذه الحالة تكون قد حصلت على المورفين قبل إصابتها بالنوبة الثانية ولكن الممرضة افتقدته بعد ذلك .

– ربما تكون الممرضة هوبكنز قد اكتشفت فقد المورفين في ذلك الصباح فقط ، في حين يكون قد أخذ قبل ذلك بيومين . قبل أن تلاحظ ذلك .

– ولكن كيف يمكن أن تأخذه العجوز ؟

– أنا لا أعرف .. ربما تكون قد رشت الخادمة .. فاذا كان الأمر كذلك فان تلك الخادمة لم تتكلم إطلاقاً .

– هل تظن ان إحدى الممرضتين يمكن رشوتها ؟.

فهز رأسه نافياً وقال :

– كلا .. مطلقاً .. فهما شديدتان جداً ومتمسكتان بتقاليد المهنة .. أضف إلى ذلك انهما تخشيان الاقدام على عمل كهذا وتعرفان الخطر الذي يترتب عليه .

فقال بوارو :

– هذا صحيح .

ثم أضاف في تفكير :

– يبدو إننا ندور في حلقة مفرغة . من الذي يحتمل أن يكون قد أخذ تلك الانبوبة من المورفين ؟هل هي اليانور كارليسل ؟ قد نقول انها رغبت في ان تتعجل وراثتها لثروة كبيرة .. وقد نقول ونحن اكثر كرماً انها أخذت المورفين وقدمته لعمتها بدافع الرحمة تلبية لرجاء عمتها المتكرر .. ولكنها تكون عندئذ هي التي أخذته .. وان ماري جيرارد شهدتها وهي تفعل ذلك ..

وهكذا نرى اننا نعود مرة أخرى إلى « السندويتشات » وإلى المنزل الخالي ونجد مرة اخرى اليانور كارليسل . ولكننا في هذه المرة نجد أن لها دافعاً

آخر مختلفاً . وهو انقاذ رقبتها .

فصاح بيتر لورد :

– هذا محض خيال .. انها ليست من هذا النوع من الناس .. انها لا تعنى بالمال . وأيضاً رودريك ويلمان .. وهذا ما اعترف به فلقد سمعتهما يقولان هذا .

– هل لها أقارب . اعني اليانور كارليسل ؟ اخوات .. ابناء عم .. أب او أم ؟

– لا ، إنها يتيمة .. وحيدة في هذا العالم .

– إن هذا يبدو مؤلماً وانا واثق أن بولر سيستغل ذلك إلى أبعد مدى .

– ومن إذن يرث أموالها إذا ماتت ؟

– لا أعرف .. إنني لم أفكر في ذلك .

فقال بوارو مؤنباً :

– يجب على المرء ان يفكر دائماً في هذه الأشياء . فمثلاً .. هل كتبت وصيتها ؟.

واحمر وجه بيتر لورد وقال :

– أنا .. انا لا اعرف .

فنظر بوارو إلى سقف الغرفة ووضع اصابع يديه بعضها على بعض ثم قال :

– انت تعرف انه من الأفضل ان تقول لي ..

– اقول لك ماذا ؟.

– ماذا يدور في ذهنك بالضبط ..

– كيف عرفت ؟

– نعم . نعم .. انا اعرف .. إن هناك شيئاً . حادثة ما في ذهنك .

– انها حادثة تافهة .

– لعلها كذلك . ولكن دعني اسمع ما هي .

وفي بطء سمح بيتر لورد لنفسه بأن يذكر القصة .
قصة ذلك المنظر عندما شاهد اليانور في نافذة كوخ الممرضة هوبكنز وهي تضحك ملء شدقيها .

فقال بوارو :
ـ قالت هذا « اذن انت تكتبين وصيتك يا ماري .. هذا امر غريب .. امر غريب جداً » . وكان واضحاً جداً في ذهنك ماذا يدور في خلدها .. تصورت انها كانت تفكر في ان ماري جيرارد لن تعيش طويلاً .
فقال بيتر لورد :
ـ انني فقط تصورت هذا انا لا اعرف ..

الفصل التاسع

رافق الدكتور لورد مسيو بوارو إلى كوخ الممرضة هوبكنز حيث قدمه لها ، ثم بنظرة من بوارو — استأذن في الانصراف وتركهما منفردين وجهاً لوجه ، وتطلعت الممرضة شزراً إلى ذلك الغريب ، ثم قالت :

— لقد كانت ماري من أجمل الفتيات اللائي رأيتهن في حياتي وجديرة باعجاب مسز ويلمان بها ، ذلك الاعجاب الذي فاق كل وصف .

— هل اعتادت مس اليانور أن تزور عمتها من وقت لآخر ؟

— عندما كان يروق لها .

— يخيل اليّ إنك لا تحبينها ؟

— أحبها ؟ هل أحب مجنونة . قاتلة ؟

— إذن فقد جزمت بأنها القاتلة ؟

— من سواها ؟ هل انا الذي قتلت ماري المسكينة بالسم ؟

— لا داعي للهياج والانفعال ، فقد أردت أن أقول ان الادانة لم تثبت ، وانها لم تحاكم بعد .

— جريمتها لا تحتاج الى دليل ولن انسى كيف صعدت بي واحتجزتني ما استطاعت فلما هبطت الدرج وجدت ماري مسمومة ، وشاهدت علامات

الاجرام مرتسمة على وجه القاتلة القاسية .

– ولم لا تكون ماري قد انتحرت ؟ ربما دست شيئاً في الشاي .

– هذا هراء ، ليس ثمة ما يحمل فتاة ريانة الشباب والأمل على أن تقضي على حياتها بنفسها .

– قد تكون اخفقت في حبها !

– لم تكن ماري من هذا النوع ولم نسمع بالمحبين ينتحرون الا عندما يعارضهم آباؤهم أو تقف عائلاتهم عقبة كؤود في سبيل سعادتهم .

– أليس لها معجبون !

– إنها فتاة هادئة وليست من هؤلاء اللائي يفضن بالنداء الجنسي ، ولم أعرف معجباً بها سوى تيد بيجلاند ، ولكنها لم تشجعه لأنه كان أدنى منها مرتبة وتعليماً .

– ألم يغضبه هذا !

- لقد تألم ولكنه كان ينحي عليَّ باللائمة لأنه كان يعرف جيداً انني نصحتها بالتعالي عن التفكير في شاب بسيط مثله .

– وماذا حملك على التحمس للفتاة بهذا القدر !

– كل ما فيها كان يبعث على حبها .

– ولكن كيف تتعالى وهي ابنة حارس بيت وتقيم في كوخ ؟

– كلا .. كلا .. لم تكن ابنته بل ابنة أحد السادة .

– وأمها ؟

فترددت وغضت شفتها ثم قالت :

– كانت أمها وصيفة لمسز ويلمان وقد تزوجت جيرارد بعد أن ولدت ماري كم في الدنيا من المآسي .

فتنهد بوارو كأنما يشاطرها اساها بينما استطردت قائلة كأنما روعت فجأة :

- ولكن ما كان يجدر أن أتحدث هكذا عن الموتى !

- اظنك تعرفين والدها كذلك ؟

- في وسعي أن اطمئن لأن للخطايا القديمة ظلالاً طويلة كما يقولون ولكنني أوثر عدم الخوض في سيرة من انتقلوا الى العالم الآخر.

- هناك مسألة أريد ان اعتمد فيها على نظرتك الصائبة للأمور وحكمتك في الحكم على الأشياء : هل صحيح أن مستر رودريك كان مفتوناً بماري جيرارد ؟

وغر المرأة ذلك المديح فقالت :

- لقد جن بها خاصة وأن حبه لخطيبته اليانور كان في الحقيقة فاتراً .. بارداً !.

- وهل شجعته ماري جيرارد ؟

- كلا .. كلا .. على الاطلاق . لا شك ان ماري تكره العجلة وقد نبهته الى أن له خطيبة .

- وما رأيك الخاص في مستر رودريك ويلمان ؟

- إنه ظريف لطيف . سريع الانفعال أحياناً .

- أكان يحب عمته الراحلة ؟

- أعتقد ذلك .

- هل جلس معها كثيراً أثناء اشتداد المرض عليها ؟

- لا أظنه دخل حجرتها في المرة الأخيرة . كما انها لم تسأل عنه ولم يكن أحد منا يفكر إنها مشرفة على الموت . وهكذا معظم الرجال يجفلون من منظر المرضى وخاصة إذا كانوا يعانون آلاماً مبرحة .

- أواثقة انه لم يدخل إلى غرفة عمته قبل ان تموت ؟

- لم يحدث ذلك عندما كنت قائمة بعملي الى ان حلت اوبريان محلي في الساعة الثالثة صباحاً وربما تكون العمة قد استدعته عندما أشرفت على النهاية.

– الا يجوز انه دخل الغرفة اثناء غيابك ؟

– أنا لا أترك مريضتي قط .

– ألم تخرجي لغلي ماء أو تهبطي لداع هام ؟

– الواقع انني نزلت لأغير الزجاجات واعيد ملأها بالماء الساخن من المطبخ ولكني لم أغب اكثر من خمس دقائق ولو ان مستر رودريك زارهـا في تلك الأثناء لقام بذلك بسرعة عجيبة .

– الحق ان الممرضات اللائي على شا كلتك اشبه بملائكة الرحمة .

– شكراً لك يا سيدي ، الواقع ان مهمتنا شاقة ونبيلة

– أهناك شيء آخر تستطيعين الادلاء به عن ماري جيرارد !

– لا أعرف غير ما قلت .

– أواثقة !

– لا شيء غير ما سمعته مني .

* * *

وانصرف بوارو إلى منزل مسز بيشوب المحافظة التي تكره مقابلة الأجانب ولذلك قابلته مستاءة متقززة وابتدرته قائلة :

– إن البوليس بقبضه على مس اليانور قد اثبت غباءه وتصديقه الشائعات بسهولة .

- وهل فصم رودريك خطبته لها لأنه صدق بدوره هذه الإشاعات !

– كلا انه يحبها وهي تحبه ولكن الحية سعت بينهما ، هذه الحيـة الناعمة ماري جيرارد .

- كدت اصدق ما يقال من أن ماري فتاة وادعة !

– انها ناعمة الملمس فقط ، وبهذا اكتسبت حب الكثيرين وفي مقـدمتهم

سيدتي المسكينة الراحلة والممرضة هوبكنز ، يجب أن يخرس صوت ماري بأي ثمن . وانني أؤكد لك انه بلغ من دهائها ان حملت مسز ويلمان على تعهـدها دائماً والانفاق على تعليمها هنا وفي الخارج بأبهظ النفقات .. وجعلت منهـا « سيدة » فوق مرتبتها ثم ما لبثت أن أوقعت مستر رودريك الساذج القلب في حبائلها .

- ألم يكن لها معجبون من طبقتها ؟

- طبعاً .. فقد اغرم بها تيد بيجلاند ، ولكنها شمخت عليه بأنفها ..

- ألم يثر لهذه المعاملة منها ؟

- نعم وأتهمها باغراء مستر رودي .. انا لا الوم الشباب .

- ولا انا . واهنئك يا مسز بيشوب بقدرتك على الإيضاح والإيجاز .. لقد اعطيتني صورة واضحة لماري جيرارد ..

- احب ان تعلم انني لا اقصد إلى تجريحها وهي في قبرها ولكن لا شك في انها سببت قدراً كبيراً من العناء والمتاعب ومن رحمة الله ان ماتت مسز ويلمان قبل ان تكتب كل ما تملكه لهذه الفتاة ..

- الا ترين ان وفاة هذه الفتاة كانت في ظروف غاية في الغموض ؟

- البوليس هو الذي خلق هذا الغموض وجر مسز اليانور الى هذه التهمة الطائشة ، بل لقد حاول البوليس إشراكي في الأمر بدعوى انني قلت ان سلوك مسز اليانور كان غريباً في الأيام الأخيرة .

- وهل كان سلوكها غريباً حقاً ؟

- وكيف لا يكون وقد فقدت عمتها وخطيبها ؟

ألا تلومين مستر روديك على أنه لم يزر العمة في تلك الليلة . ؟

- أنت مخطىء يامسيو بوارو لأنه دخل ورآها ! فقد كنت على درج السلم عندما سمعت الممرضة تهبط الدرج ورأيت أن أدخل على المريضة لعلها

تحتاج الي في ثرثرة مع الخادمات وتغيب عن المريضة .. واذ ذاك لمحت مستر رودي يتسلل الى غرفة عمته ..

ـ أنك حصيفة ذكية فماذا ترين في موت ماري جيرارد .. ؟ وهلا تعتقدين أنها انتحرت . ؟

ـ أتنتحر فتاة ورثت وقررت أن تتزوج مستر رودي ؟ ! كلا كلا أقص هذا من مخيلتك ..

الفصل العاشر

وفي يوم الأحد كان تفيد بيجلاند في مزرعة والده عندما قدم اليه بوارو نفسه . ولم يجد عناء في حمل الشاب على الكلام بل بادره هذا متحمساً وقال :

ثق يا سيدي أن مس اليانور لا تلجأ الى العنف فما بالك الجريمة ؟ أن طبيعتها غير ما يظنه رجال البوليس . .

ـ ألا يصح أن تدفعها الغيرة الى ذلك . ؟

ـ الغيرة ! ان بعض الجرائم وليدة الغير كما أعلم ، ولكن القاتل لا يقدم على جريمته الا اذا كان قد امتلأ قلبه بالحقد أو أعمته الخمر . أما مس اليانور فسيدة هادئة وادعة . .

ـ ومن قتل ماري جيرارد اذن ؟

ـ لا أعتقد ان انساناً كان يحقد على هذه الزهرة اليانعة . .

ـ اكنت تريد زواجها . ؟

ـ نعم ولكنها . . تغيرت بعد ان تلقت قسطاً كبيراً من التعليم اذهلها . . وليس معنى هذا أنها كانت فظة معي بل كانت طيبة واكتفت بأن تجعلني أفهم أني لم أعد أهلاً لها . وان كنت أظن أنها ليست اهلاً كذلك لسيد حقيقي مثل مستر رودريك ويلمان . .

– أتكره مستر روديك . ؟
– كلا لكني تألمت لحومه حول ماري رغم أنها ليست من طبقته ..
– أين كنت وقت أن ماتت الفتاة ؟
– في حظيرة السيارات حيث كنت أفحص سيارة وقد جربتها قليلاً في ذلك الصباح المشرق العليل الهواء
– أكانت مسز بيشوب مديرة هنتربري تكره ماري ؟
– كانت تحقد عليها لمكانتها عند مسز ويلمان .
– وهل كانت الممرضة هوبكنز تحبها ؟
– لا شك في أن هذه الممرضة الثرثارة كانت تعطف على الفتاة ولكنها كانت تحضها على كسب معاشها بممارسة التدليك .
– يخيل الي أن هذه الثرثارة لم تفض بكل ما تعلمه عن ماري جيرارد وتلقي ضوءاً على مقتلها !

* * *

وتطلع بوارو باهتمام الى وجه روديك ويلمان وبرثاء الى حالته العصبية ونظراته الحائرة ، وتأمل الفتى البطاقة قليلاً ثم قال .
لقد سمعت عنك كثيراً يا مسيو بوارو ، ولكنني لا أرى ما يعتقده الدكتور لورد من أنك تستطيع شيئاً في هذه المأساة ، بل ولا أدري دخله في هذا الشأن بعد أن انتهت مهمته من عيادة عمتي وأصبح غريباً هنا .

فأجابه بوارو في هدوء :
– قد لا يسيئك أن تعلم أنني أحاول أن أقدم معونتي الى مس اليانور في محنتها ؟
– كلا .. كلا . ولكن ..

– أتريد أن تقول ولكن ماذا في وسعي أن أعمله ؟

– قد يبدو في هذا التصرف خشونة مني ولكنه الواقع .

قد اكتشفت حقائق تدرأ عنها الاتهام

– حبذا لو استطعت ! اتوسل اليك ان تفعل

عليك فقط أن تساعدني بأن تخبرني برأيك في كل هذه المأساة .

فقام رودي يذرع الغرفة في قلق واضح ثم قال :

– ماذا اقول وأنا لا استطيع تصور اليانور مجرمة قاتلة ؟! انها مخلوقة دمثة هادئة ذكية شديدة الحساسية ، مرهفة الحس خلو من الغرائز الحيوانية ، ولكنني لا استطيع كذلك ادانة الممرضة لأنها لم تقترب من السندويتش ولم تكن تستطيع تسميم الفتاة دون أن تتسمم بدورها ولأنها ليس لديها ما يدفعها الى قتل الفتاة .

– هذا ينطبق تماماً على الحقائق التي جمعتها ولكن هل صحيح ما يشاع من أنك كنت معجباً بالقتيلة ؟

– نعم .. بل لقد احببتها وقد حطم قلبي موتها .. ولكني في الواقع .. لا أدري بالضبط حقيقة مشاعري ، اذ يخيل الي انني كنت في حلم .. صحوت منه .

– ألم تكن في انجلترا عندما ماتت ؟

– كلا .. رحلت الى الخارج في ٩ يوليو ثم عدت في أول أغسطس عندما تبعتني برقية اليانور من مكان الى آخر فأسرعت راجعاً بمجرد ان تلقيت الانباء .. وكانت صدمة شديدة في الواقع .

– هي الحياة لا تهـــادن ولا تدع الانسان يهيء أموره وفق مشيئته وبالطريقة التي يراها !

– ورفه عني انني لا أعرف الكثير عن القتيلة وان افتتاني بها كان نزوة عابرة أو حلماً لم يطل .

– هل ازعجك الخطاب الذي تلقته اليانور غفلاً من الامضاء ؟ هل كان ينذر بضياع ميراث العمة ؟

– ليس المال عندي هذه الأهمية التي تتصورها .

– هذا عزوف عجيب عن الدنيا !.

– هذا لا يعني انني لا أبالي مطلقاً بالأمور المادية ، ولكنني وجدتها فرصة للاطمئنان على العمة فجئت واليانور .

– وماتت العمة في الليلة التي كانت تزمع فيها كتابة وصيتها بمجرد وصول المحامي .

– اصغ إليّ يا مسيو بوارو ! ماذا تريد أن تقول ؟

– لقد حذر الخطاب اليانور من خطر ضياع الميراث أو بعضه .. وفي الردهة بالطابق الأول كانت حقيبة الممرضة هوبكنز وبداخلها مواد كيميائية وعقاقير من بينها أنبوبة مورفين وحدث – كما علمت – أن جلست اليانور وحدها مع عمتها بينما كنت أنت والممرضتان تتناولون العشاء .

– يا لله يا مسيو بوارو ! أتعني أن اليانور قتلت عمتها ؟ يا له من ظن يثير العجب والسخرية !

– ألم تعلم أن المحقق طلب تشريح جثة العمة بدافع من هذا الشك ؟

– نعم أعلم ولكنهم لن يجدوا شيئاً يؤيد سخافة هذا التفكير من المحقق .

– وإذا وجدوا .. فرضاً ؟

– كنت أظنك هنا لمساعدة اليانور ؟

– هذا لا يمنع من مواجهة الحقائق يا مستر رودريك حاول أن تفكر وأن تعترف بأن اليانور كانت لديها الفرصة السانحة .

— ولماذا لا تكون إحدى المرضتين هي الآثمة ؟

— ولكن هوبكنز كانت شديدة القلق بسبب إختفاء الأنبوبة ولم تكتم خبر اختفائها ، ولو كانت هي القاتلة لأسدلت على اختفائها الستار حتى لا توجه اليها الشكوك ، وكذلك الحال مع أوبريان ثم أي دافع لهما على ارتكاب جريمة لا يفيدان منها على الاطلاق !

فهز الشاب رأسه وقال :

— هذا حقيقي مع الأسف ..

— إذن بقي أنت .

فروع رودي وصاح كالجواد الثائر :

— أنا ؟

— نعم .. كان في وسعك أن تأخذ الأنبوبة وأن تعطيها لمسز ويلمان ولكن كتابة الوصية كان معناها بلا شك أن تمنحك العمة جزءاً من ثروتها ثم جاء موتها ضرراً لك .. وهذا وحده الذي يبرىء ساحتك .

واسترد الشاب أنفاسه اللاهثة واستطرد بوارو قائلا :

— هناك شخصان يفيدان من موت العمة : اليانور وكاتب الخطاب الغفل من الامضاء .. وهو شخص يكره ماري جيرارد ويعمل لمصلحتك ولا يريد فائدة لماري من وراء موت العمة ..

ألديك فكرة عن كاتب هذا الخطاب ؟

— انه شخص غير متعلم .

— قد يكون العكس ، وأنه أراد فقط أن يخفي حقيقته بكتابته العرجاء في الأسلوب والهجاء .. ألا تكون مسز بيشوب هي كاتبته ؟

— لا أظن .. انها وقور وخطها جميل ولا تقدم على هذا ..

ولكن لماذا لا تكون عمتي قد انتحرت بعد أن كرهت مرضها وعجزها عن الحراك ؟

— لم يكن في وسعها النهوض من فراشها والهبوط إلى الطابق الأول وتتناول الأنبوبة من حقيبة الممرضة ..

-- ولماذا لا تكون إحدى الممرضتين قد عاونتها على ذلك ؟

— لأن هذا يضعها في خطر ..

- إذن فهو شخص آخر قد يكون ..

— تكلم .. تكلم . متى قالت لك اليانور ذلك !.

— يا لك من ساحر .. كنا عائدين في القطار بعد أن تلقينا برقيـــة بأن العمة أصيبت بالفالج للمرة الثانية ، وكانت اليـانور شديدة الحزن على عمتها وراحت تتحدث عن كراهية المريضة لقعودها في الفراش ، وقد قالت اليانور ان الأولى لكثير من المرضى أن ينقذوا من آلامهم وان ينعموا بالراحـة التي ينشدونها .

— وماذا قلت أنت ..

— وافقتها على رأيها لأنه خير ما يجب أن تعمله المدنية .

— ألا ترى ان اليانور ربما قتلت عمتها بدافع من الاشفاق عليها والرغبة في وضع حد لآلامها .

— كلا .. كلا .. لا أتصور إمكان ذلك

- هذا ما توقعت أن تقوله .

* * *

وفي مكتب المحامي مستر سيدون ، قوبل بوارو بحذر تام إن لم يكن بالريبة ، وعدم الطمأنينة . وخاطبه المحامي قائلاً :

— اسمك ليس غريباً علي يا مسيو بوارو ، ولكني لا أدري ما هو مكانك من هذه القضية .

ـ إنما أعمل بدعوة من موكلي . دكتور لورد .
ـ لا أظننا في حاجة الى أية معاونة خارجية يا سيدي ..
ـ أهذا لأن براءة مس اليانور غاية في السهولة ؟.

فطرفت عينا المحامي وقال :

ـ يخيل اليّ أنك تعرف الكثير عن هذه القضية .

ـ نعم يا مستر سيدون ، وقد طلب مني مستر رودريك أن أعاون في اكتشاف الحقائق التي قد تدرأ عن اليانور هذا الاتهام ، واطمئنك الى انني لن اشاركك في الأتعاب التي قدرتها لنفسك من وراء الاضطلاع بهذه القضية .

فأشرقت اسارير المحامي وقال :

ـ الواقع كذلك انني مهتم بهذه القضية لأنني شعرت ان واجب الوفاء لمسز ويلمان ويقتضي الدفاع عن ابنة اخيها وان كنت لم اعتد ان أزج بنفسي في القضايا الجنائية .

ـ ثق يا سيدي أن المتهمة في حاجة الى اكثر من طلاقة لسانك وقوتك المشهودة في الفصاحة والخطابة والمرافعة .

ـ هذه حقيقتي يا مسيو بوارو وبماذا تنصح ؟

ـ بأن تجيبني عن اسئلتي بصراحة .

ـ لا أستطيع أن اتعهد بالرد على كل سؤال لأن بعض الردود يستلزم ان أحصل اولاً على موافقة عميلتي .

ـ هل لعميلتك مس اليانور أعداء ؟

ـ كلا .. بقدر ما أعلم .

ـ ألم تكتب الراحلة مسز ويلمان أية وصية في حياتها ؟

ـ كلا ..

ـ هل كتبت اليانور وصية لنفسها ؟

ـ نعم .. حديثاً . بعد وفاة عمتها .

- لمن تركت ما تملكه ؟

ـ هذا سر خاص ، لا أستطيع ان أبوح به ، قبل أن أرجع أولاً لعميلتي

ـ سأتولى بنفسي مقابلتها .

ـ قد تجد صعوبة كبيرة في ذلك يا سيدي .

ـ كل شيء سهل ميسور لدى بوارو .

* * *

الفصل الحادي عشر

- هل عثرت على شيء يا مسيو بوارو ؟

- لقد قتلت اليانور ماري جيرارد بدافع الغيرة ، كما قتلت عمتها لـترث أموالها أو بدافع الشفقة لتريحها من آلامها .. وليس لك يا دكتور سوى ان ترجح احد هذين الدافعين على الآخر .

- هذا هراء .. وإذا كان من الممكن ان تقدم امرأة على القتل بدافـع الشفقة لأن المريض زوجها او طفلهـــا او امها فلست اتصور ذلك اذا كانت المريضة عمة لها مهما كانت تحب هذه العمة ولا تحتمل ان تراها تتعذب وتتلوى بالألم . ثم لا تنس ان مسز ويلمان لم تكن نهباً للآلام ولكنهـا كانت تكره المرض وتكره أن تظل قعيدة الفراش بلا حول ولا قوة .

فهز رأسه وقال .

- ربما كنت على حق يا دكتور لورد ولكن . الا يجوز أن تكون العجوز قد استطاعت إغراء رودريك بانهاء آلامها ؟

- كلا كلا .. ان هـذا الشاب آخر من يقـدم على هذه الجريـة خصوصاً ..

- خصوصاً وانه ليس مدلها بحب اليانور او العمة حتى ينـدفع الى الزج

بنفسه في هذا المأزق

– هو ذلك . .

– هذا يجرنا الى نفس المكان وهو ان أحداً غير اليانور لا يفيد من موت العمة وان أحداً لا يكره ماري جيرارد غير اليانور ، وبقي سؤال واحد يصح أن نلقيه على انفسنا وهو : هل هناك من يكره اليانور ؟

– لا أدري وان كنت ارى ما ترمي اليه من البحث عن شخص يكون قد دبر ذلك بحيث تقع التهمة على اليانور دون سواها .

– هذا مجرد رأي بعيد الاحتمال ولا يؤيد سوى ما نراه من تجمع الأدلة كلها على رأس اليانور .

ثم حدث الطبيب عن الخطاب الذي تلقته الفتاة غفلاً من الامضاء وكيف يعني ان الفتاة حذرت من ماري جيرارد ومن محاولتها الظفر بثروة العمة كلها ، فلما طلبت مسز ويلمان استدعاء المحامي وجدت اليانور ضرورة اخماد انفاسها في تلك الليلة .

فصاح لورد :

– وورودريك ويلمان ؟ انه ايضاً كان يخشى ان تضيع الثروة منه او من خطيبته !

– وعلى العكس كان من مصلحته ان تكتب العمة وصيتها لأنه كان واثقاً من انها لن تتركه من غير ان توصي له بشيء من ثروتها الطائلة فلما ماتت هكذا لم يظفر بشيء كما تعلم .

فأمسك الدكتور برأسه وهو يئن قائلاً :

– دائماً يعود الاتهام مرتداً اليها !

نعم .. ما لم نعرف الهمس الذي يدور حول ماري جيرارد ، ويمنعنا من الوصول الى حقيقته ايمان الناس بعدم الخوض في مساوىء الموتى .

- أتعني شيئاً يمس سمعتها ؟
- أي شيء ! أي شيء ! أي شيء يسيء اليها وحسب !
- ثق انك لن تجد ما يثير أي غبار حولها .
- لا تظنني أحاول أن أثير الأوحال حيث لا أوحال .. كلا يا صديقي ، ولكنني أشعر جيداً ان الممرضة هوبكنز تخفي حقيقة مشاعرها وانها تخفي شيئاً عن ماري لا تحب أن تلوكه الألسنة ولا تريد ان أهتدي اليه لأنه لا صلة له بالجريمة والذي يهمني يا دكتور هو أن أعرف كل شيء ، لعل شيئاً يهديني إلى ظلم وقع من ماري على شخص آخر ويكون الدافع إلى قتلها .

***

طوحت الممرضة أوبريان رأسها ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وهي ترمق بوارو الجالس قبالتها إلى إحدى الموائد عندما قال :
- يسرني أن أقابل من يمتلىء هكذا صحّة وحيوية .. ولا شك في أن مرضاك يشفون كلهم .
- قليلات من تمتن من مريضاتي مثل مسز ويلمان
ثم تنهدت وقالت :
- لقد سمعت انهم أخرجوا جثتها وشرحوها .
- هذا طعن في شهادة الدكتور لورد بأنها ماتت ميتة طبيعية ولا تنسى انه طبيب العائلة ويخشى أن يسيء اليها .
- ألا يجوز أن تكون مسز ويلمان قد انتحرت ؟
- ما كان في استطاعتها وهي راقدة بلا حول ولا قوة أن ترفع إحدى يديها عن الفراش .
- ربما ساعدها إنسان على ذلك .
- أتعني مس اليانور أو مستر رودريك أو ماري جيرارد ؟ ان أحدهم لا

يجرؤ على ذلك

– متى فقدت الممرضة هوبكنز أنبوبة المورفين ؟

– في نفس ذلك الصباح .

– ألم يثر فقدها أي قلق في نفسك أو نفسها ؟

– حتى عندما تحدثت عن ذلك معي في مقهى البلوتيت كان رأينا أنها تركتها على الموقد فسقطت في سلة المهملات ، ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك .

– وما رأيك الآن ؟

– لن يكون لهوبكنز دخل إلا إذا ثبت أن مسز ويلمان ماتت بفعل المورفين !

– وهل تشكين في أن اليانور هي قاتلة ماري جيرارد ؟

– رأيي أنها دون غيرها القاتلة ، إنها كانت بجانب العمة وسمعت رغبتها في كتابة الوصية في مصلحة ماري جيرارد ، ثم رأيتها بعيني وهي تتطلع إلى ماري بنظرات تمتلىء بالحقد والكراهية .

– وإذا كانت اليانور قد قتلت عمتها فماذا دفعها إلى ذلك ؟

– المال . خوفها من أن تكتب لماري كل ما تملكه .

– هل كانت ماري على دهاء كبير إلى هذا الحد ؟.

– لم تكن الفتاة في حاجة إلى دهاء ولكنه كان حباً طبيعياً وحناناً غير متكلف أغدقته الفتاة على من علمتها وأنشأتها وأوفدتها إلى الخارج لتتلقى أحسن العلوم والمعارف ..

– إنك غاية في العقل والحصافة .

– مالي والتحدث فيما لا شأن لي به .

– يبدو لي أنك اتفقت مع الممرضة زميلتك على كتمان بعض الأشياء .

فهزت أوبريان رأسها وقالت :

ـ أي فائدة في إثارة الأوحال وقصة قديمة بعد أن عـــاشت العجوز وماتت محترمة وقوراً . كان ذلك منذ زمن بعيد جـداً ولقـد كان من رأيي دائماً انه من الصعب على رجل أودعت زوجته مستشفى الأمراض العقلية أن يظل مرتبطـاً بها طوال حياتـه دون أن يقوى شيء على فك عقاله سوى الموت ..

ـ نعم من الصعب جداً ..

ـ ومن عجائب المصادفات ان أسمع اسماً ثم لا البث بعد يومين ان أجـده يطرق أذني ، وأن أرى صورة (فوتوغرافية) وفي نفس الوقت تكون هوبكنز تصغي لقصة صاحب هذه الصورة ترويها مدبرة بيت الطبيب !

ـ أكانت ماري جيرارد تعلم شيئاً عن هذا ؟

ـ كلا بالطبع .. لم يفكر أحدنا في التنغيص عليها بذكره دون فائدة .

* * *

ولم يتردد المفتش بيكلي في تسهيل مهمة بوارو لدى مـدير سكتلانديارد وسرعان ما سمح له بمقابلة السجينة اليانور كارليسل . وجلست الفتـــاة في الطرف الآخر للمنضدة وحيدة مع بوارو إلا من حارس يفصله عنهما جـدار من الزجاج .

وتبدى للزائر ذكاء الفتاة وكبرياؤها وجمالها الفاتن . وما لبث أن خاطبها قائلا :

ـ أنا بوارو .. أرسلني الدكتور بيتر لورد اعتقاداً منه إنني قد أستطيـع مساعدتك .

فتمتمت الفتاة : بيتر لورد .

ثم ابتسمت وقالت :

هذا فضل منه ومنك ولكنني أعتقد أن ليس في وسعك عمـل شيء لمصلحتي

– هل لك أن تجيبيني عن أسئلتي ؟
– أتعتقد أولاً انني بريئة ؟
– وهل أنت كذلك ؟
– أهذا نوع من الأسئلة التي جئت تطرحها عليّ ؟ ما أسهلها يا سيدي !
– لقد قابلت ابن عمك مستر رودريك ويلمان وهو يبـذل كل مـا في وسعه لمساعدتك .
– أعرف ذلك

ولمس رقة في صوتها في المرة فسألها :
– أهو غني ؟
– انه مسرف ولذلك لم يبق لديه إلا القليل ، ولكن أحدنا لم يهتم بذلك لأننا كنا نعلم أن يوماً ما ..
– سوف ترثين عمتك ..
ثم تأمل عينيها واستطرد يقول :
– أظنك سمعت ان عمتك ماتت بالمورفين ؟
– أنا لم أقتلها ..
– ألم تساعديها على قتل نفسها ؟
– كلا .. كلا ..
– ألم تعلمي بأن عمتك كتبت وصية ما من قبل ؟
– كلا .. لم أعلم بهذا قط .
– وهل كتبت أنت وصيتك عندما حدثك الدكتور لورد عنها ؟
– نعم .
– ولمن تركت أموالك في وصيتك ؟
– لرودي .. تركت كل شيء لرودريك ويلمان

- أيعرف ذلك ؟
- كلا ..
- ألم تتحدثي بذلك اليه قبل كتابة الوصية ؟
- كلا .. إطلاقا .. فما كان يرضى بأن أفعل ذلك . ولا يعرف بما فعلته سوى مستر سيدون وكتبة مكتبه .
- هل ارسلت خطابك إلى المحامي بالبريد ؟
- نعم .
- هل أودعت الخطاب بنفسك صندوق البريد ؟
- كلا .. أرسلته مع بقية الخطابات .
- هل تلوت الخطاب اكثر من مرة قبل أن تحزمي رأيك على إرساله ؟
- كتبته ثم قرأته ، ومضيت الى المكتبة لأجيء بطوابع البريد ثم قرأته مرة اخرى .
- أ كان معك أحد في الغرفة ؟
- رودي فقط .
- هل عرف ما كنت تفعلينه ؟
- قلت لك .. كلا !.
- هل كان في وسع احد ان يقرأ الوصية في اثناء غيابك في المكتبة لإحضار طابع البريد ؟
- لا ادري .. إذا كنت تعني أن احد الخدم إلى الحجرة قبل ان يدخلها رودريك فقد كان يمكن ذلك .
- ولماذا تستبعدين ذلك على مستر رودريك
فأجابته في صوت مشوب بالاستخفاف : أؤكد لك ان رودي لا يقرأ خطابات الغير بحال .
- أفي ذلك اليوم بالذات خطرت لك فكرة قتل ماري ؟

فاشتعل وجهها بالخنق وقالت :

ـ أهو الدكتور لورد الذي اخبرك بـذلك ؟

ـ عندما اطللت من النافذة ورأيتها تكتب وصيتها الم تضحكي وتتساءلي: هل يمكن ان تموت هذه الفتاة ؟

ـ وهل تثق بما اجيبك به ؟ الا تخشى ان اكذب عليك .

ـ ان المستمع الى الأكاذيب يستطيع ان يستنتج منها ما قد لا يستطيع استنتاجه من الأقوال الصادقة . فلنبدأ الآن : لماذا رفضت ان ترافقـك مسز بيشوب إلى المنزل ؟

ـ رغبة مني في ان اكون بمفردي .. لأنني كنت في حاجة إلى التفكير .

ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟

ـ اشتريت علبة سمك محفوظ. ثم مضيت الى هنتربري حيث صعدت إلى حجرة عمتي ونقبت بعض الوقت في اوراقها .

ـ ألم تعثري بين تلك الأوراق على شيء خاص له سريته؟

ـ ماذا تعني ؟

ـ استمري إذن وارفضي الإجابة على ما يروقك من الأسئلة . ماذا فعلت بعد ذلك ؟

ـ هبطت إلى القبو وأعددت الشطائر

ـ وكنت تفكرين في تلك الأثناء في القضاء على ماري

فامتقعت اسارير الفتاة ولكنها لم تبال بالرد عليه واستطردت تقول :

ـ اعددت الشطائر على الصحفـة ومضيت إلى الكوخ حيث كانت الممرضة هوبكنز مع ماري جيرارد فدعوتها لالتهام بعض الشطائر في المنزل في غرفـة الجلوس وبعد ان اكلنا تركت ماري واقفة بجوار النافذة وذهبت إلى القبـو حيث كانت الممرضة تغسل الصحاف فأعطيتها علبة السمك .

ـ وهل تغسل علبة السمك ؟

- إنها علبة من النوع الجيد الذي يحتفظ به لاستعماله في حفـظ التوابـل وغيرها ولا يهمل بمجرد تفريغ محتوياته .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟ فيما فكرت إذ ذاك .

فقالت كالحالمة : كان برسغ الممرضة ندبة أشبه بعلامة او اثر جرح ، وقد أوضحت أن شوكة ورد من افريز الكرخ قد وخزتها ، وطـالما تشاحنت مع رودي في صغرنا بسبب حبـه الورد الأبيض وإيثـاري الورد الأحمر العطر ، وطاف برأسي شبح كراهيتي لماري جيرارد ولكني سرعان مـا اقصيته عن خاطري ، وشعرت بأنني لم اعد ابغضها فضلاً عن ان اتمنى موتها .

– ولكنك ما لبثت ان عدت الى غرفة الجلوس لتجديها تلفظ انفاسها الأخيرة

– أتريد ان تسألني مرة اخرى : هل انت التي قتلتها ؟

فنهض على قدميه بسرعة وقال :

– لن أسألك شيئاً ، توجد اشياء لا رغبة لي في معرفتها .

الفصل الثاني عشر

كان الدكتور لورد في انتظار القطار استجابة لرجاء بوارو فلما شاهده يهبط ابتدره قائلاً :

— لقد بذلت ما في وسعي لأحصل على أجوبة لأسئلتك يا مسيو بوارو فقد ذهبت ماري جيرارد إلى لندن في ١٠ يوليو كما استطيع أن أرافقك إلى مسز سلاتري خادمة سلفي الدكتور رانسام .

— يحسن أن أقابل هذه المرأة أولاً .

— لقد قلت أنك تريد أن تذهب إلى هنتربري وفي وسعي أن أذهب معك إلى هنـــالك وان كنت لا ازال أعجب لعدم ذهابك إلي اليوم باعتبار هنتربري مكان الحادث .

— يبدو أنك تقرأ كثيراً من القصص البوليسية يا صديقي ومع ذلك فقد سبقني البوليس الى هناك واستجمع الأدلة التي حملته على القبض على اليانور ، ولكنني الآن أجدني في حاجة إلى الذهاب إلى هنتربري بعد أن عرفت ما يجب أن أبحث عنه .

— إذن فأنت تعتقد أن هناك أشياء فاتت رجال البوليس ؟

— ربما .

ـ أهي في مصلحة اليانور ؟
ـ لا أدري بعد . صبراً يا عزيزي .

* * *

وتناولا الغذاء بعد ساعتين في منزل الطبيب في غرفة جميلة تطل على الحـ
حيث قال لورد
.. هل اهتديت إلى معرفة ما كنت تريده من العجوز سلاتري .
ـ نعم . وكان حديثنا عن الأيام الخالية لأن كثيراً من الجرائم تنبـ
جذورها في الماضي وأظن جريمتنا من هذا النوع .
ـ الحق أنني لا أفهم كلمة مما تقول يا مسيو بوارو لماذا تتركني أتخبط في الظلام ؟
ـ لأن الضياء لم ينبثق بعد ولأنني ما زلت أصطدم بحقيقة لا تتغير وهي ان لا أحد تتوافر لديه الدوافع إلى قتل ماري جيرارد غير اليانور .
ـ ولكن ماري كانت في المانيا فترة طويلة .
ـ أعرف ذلك ، وقد وافتني عيوني بالمانيا بما يهمني من المعلومات عن هذه الفترة .
ـ وهل لك عيون ؟
ـ نعم وأحدهم رجل كان من اللصوص الأشقياء ثم اهتدى ، وكانت أول مهمة عهدت بها اليه أن ينقب كل ركن في شقة مستر روديك ويلمان .
ـ لماذا ؟ هل تعتقد أن الشاب قد كذب عليك في حديثه .
ـ الواقع أن كل انسان هنا حاول الكذب والتمويه حتى أنت .
ـ يبدو ان عدم تصديق الناس طبيعة في نفسك ! تعال بنا إلى هنتبريري لأن لدي مرضى فيها .

– أنا رهن أشارتك يا دكتور .
ومضيا على الأقدام ودخلا من البوابة الخلفية ، وفي منتصف الطريق إلى المنزل قابلهما شاب طويل القامة صبيح الوجه يدفع عربة ولما شاهدهما رفع قبعته باحترام فخاطبه لورد قائلاً :
– طاب صباحك يا هرليك . هذا هرليك البستاني يا مسيو بوارو. لقد كان يعمل هنا في ذلك الصباح .
فقال الشاب : نعم يا سيدي وقد شاهدت مس اليانور في ذاك الصباح وتحدثت اليها .
فسأله بوارو ماذا قالت لك ؟
– وعدتني بالتوصية علي والتحدث بشأني إلى الميجر سمرفيل الذي اشترى منها هنتربري .
– هل كانت طبيعية يا هرليك ؟
– نعم . فيما عدا أنها كانت منفعلة بعض الشيء، كأنما يحتشد رأسها ببعض الأفكار .
– هل عرفت ماري جيرارد ؟
– بعض الشيء، يا سيدي . ولقد كان والدها يكرر فيها روح التعالي والتسامي ومبلغ ما حصلته من التعليم الراقي .
– أتستطيع أن ترى المنزل من حديقة الخضر ؟
– كلا ياسيدي .
– لو أن انساناً قدم ووثب من نافذة القبو . هل في وسعك أن تراه من حديقتك ؟
– كلا .. كلا .
– متى ذهبت لتناول الغداء ؟
– في الساعة الواحدة يا سيدي .

- ألم تر شيئاً . أي رجل يحوم في المكان ، أو أي شيء من هذا القبيل ؟
فرفع حاجبيه مشدوهاً ثم قال :
- نعم . كانت هناك عربة في خارج البوابة الخلفية .
فصاح لورد :
- لم تكن عربتي ، فقد مضيت إلى ويزنبري في ذلك الصباح ، ولم أعد إلا بعد الثانية .

فبدأ الارتباك في وجه البستاني ثم قال لقد كانت سيارتك يا سيدي .
وأسرع الطبيب يقول : كلا . كلا . طاب يومك يا هرليك .
وظل الشاب يحملق في ظهريهما إلى أن اختفيا عن عينيه فعـــاد يدفع عربته أمامه .

وقال الطبيب في هدوء يخفي به انفعاله :
- ترى عربة من تلك التي كانت واقفة هناك في ذلك الصباح .

فسأله بوارو : ما نوع سيارتك ؟
- فورد ! خضراء اللون وأنا واثق أن تلك السيارة لم تكن سيارتي لسبب أهم وهو أنني كنت في ويزنبري وعدت متأخراً لالتهم غذائي بسرعة وما لبثت أن دعيت لاسعاف ماري جيرارد . اذن فقد كان هنا أحد في ذلك الصباح غير اليانور وماري وهوبكنز .

ولما اقتربا من المنزل أمسك الطبيب بذراع بوارو وقال :
- هذه نافذة للقبو الذي كانت اليانور تقطع فيه السندويش .
ومن هنا كان في وسع أي أنسان أن يراها . فلنبحث لعل الذي وقف هنا كان يدخن .

وانحنى يفحص الارض ويدفع الأوراق الأغصان جانباً . .
ثم انتصب قائلاً :
- ها هي علبة ثقاب يا صديقي . فارغة يا لله انها صناعة أجنبية . علبة

المانية وماري جيرارد قد عادت حديثاً من المانيا !

ومضيا إلى المنزل حيث فتح الطبيب الباب الخلفي بالمفتاح وقاد زميله إلى المطبخ ثم إلى ممر يفضي إلى القبو وهناك راحا يتطلعـــان إلى « الدولاب » والأدوات الخزفية والزجاجية وإلى موقد الغـــاز وآنية الشاي والقهوة على الرفوف وإلى الحوض وإلى المنضدة التي أمام النافذة ، وقال الدكتور لورد :

– على هذه المنضدة كانت اليانور تقطع السندويتش وتحت الحوض وجدت قصاصة من البطاقة التي كانت حول انبوبة المورفين ، ولا شك ان أحداً كان يرقب الفتاة من الخارج فلما مضت إلى الكوخ تسلل وفتح الأنبوبـة وسحق بعض المورفـــين ووضعه على بعض السندوتشات دون أن يلحظ انه قطع جزءاً من البطاقة وانها سقطت بعيداً تحت الحوض وسرعان ما عاد إلى سيارته التي تركها في الخارج .

– تعال ننقب قليلا في انحاء المنزل .

واخيراً وقفا في الغرفة التي ماتت فيها ماري جيرارد بعد أن فتح الطبيب إحدى نوافذها ثم قال : يخيل إليّ اننا في قبر .

– لو تستطيع الجدران أن تتكلم لقصت علينا كيف بدأت المأساة في هذا المنزل .. تعال بنا الى الكوخ .

ووجد في الكوخ غرفة مرتبة تعلوها الأتربة ولم يمكث فيها غير دقـــائق أسرعا بعدها إلى الخارج حيث رأى بوارو يتحسس أوراق الورود النامية على الحاجز الخارجي ثم قال :

– لقد حدثتني اليانور عن طفولتها حين كانت تلعب هنـــا مع رودريك ويلمان ويختلفان أحياناً بسبب تعلقها بالورود الحمراء وشغفه هو بالورود البيضاء وهذا الفارق هو ما بينهما فعلا .

– ماذا تعني ؟

– هذا يوضح أخلاق اليانور وحبها الجارف لشخص لا يقوى على مبادلتها

الحب . لنعد الآن يا صديقي الى الدغل الذي خلف القبو

وهنا قال : لا يبعد أن تكون ماري جيرارد قد عرفت رجلاً في المانيا تبعها إلى هنا وقد عقد العزم على قتلها . ولكن انظر يا صديقي انظر بعيني رأسك ما دمت لا تستطيع الرؤية بعين البصيرة ! ماذا ترى من هنا بالورد ؟ نافذة . بجوارها فتاة تقطع سندوتشاً ولكن كيف عرف الرجل ان هذا السندوتش سيقدم إلى ماري جيرارد ؟ ان اليانور وحدها هي التي كانت تعرف ذلك .

– إذن كان الرجل يريد قتل اليانور نفسها ؟

– هذا أقرب إلى العقل والصواب يا عزيزي .

ولما طرق بوارو باب الممرضة هوبكنز ففتحته ووجهها مغطى بالصابون ثم قالت بحدة :

– حسناً يا مسيو بوارو ! ماذا تريد الآن ؟

– هل لي أن أدخل ؟

فغمغمت حانقة : تفضل .

ثم قدمت له قدحاً من الشاي الأسود كالحبر وهي تقول :

– هذا شاي جميل جداً .

فمضى يحركه في حذر ثم استجمع شجاعته ورشف منه رشفة وقال :

– هل خمنت لماذا جئت الآن ؟

– وهل قالوا لك انني قارئة أفكار ؟

– لقد جئت أطلب اليك أن تصارحيني بالحقيقة .

فنهضت ثائرة غاضبة وصاحت :

– أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب ! ولقد تحدثت عن أنبوبة المورفين صراحة ، ولو كانت غيري في مكاني لأغلقت فمها واسدلت على ذلك ستاراً كثيفاً ولكني لم اعتد الكذب ولم أخف شيئاً أعرفه عن موت ماري

جيرارد ، ومستعدة لحلف أغلظ الايمان في المحكمة .

ولم يحاول بوارو أن يقاطعها لأنه كان يعرف كيف يسوس المرأة إذا تملكها الحنق وأخيراً قال في هدوء أنا لم أقل انك أخفيت شيئاً عن الجريمة ولكنني فقط طلبت اليك أن تحدثيني بالحقيقة . لا عن موت ماري جيرارد ، بل عن حياتها .

— ولكن . أي دخل لهذا في الجريمة ؟

— أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب ! ولقد تحدثت عن المعلومات عن حياتها ، ثم من أدرانا أن يكون لذلك دخل ، من بعيد اوقريب في مصرعها؟ لا أدري بالضبط ماذا تعني .

— سأعاودك ، لقد تحدثت مع الممرضة أوبريان ومسز سلاتري التي تذكر جيداً ما حدث منذ عشرين عاماً فعلمت أن حباً نشأ بين مسز ويلمان التي كانت إذ ذاك أرملة وبين السير لويس رايكروفت الذي كانت زوجته نزيلة مستشفى الأمراض العقلية ، وكان القانون في ذلك الوقت يمنعه من أن يتزوج مرة اخرى ما دامت زوجته على قيد الحياة كا كانت قوى زوجته البدنية وحالتها الصحية العامة ترجح إنها قد تعيش الى سن التسعين ، ولهذا ظل المحبان على صلة قوية اخفياها عن الكثيرين ثم مات الرجل في الحرب .

— ثم ماذا ؟

— ثم أنجبت علاقتهما طفلة هي ماري جيرارد .

— ولماذا تسألني ما دمت تعرف كل شيء ؟

— برجاء ان اجد عندك الدليل القاطع على ما كنت أخمنه .

فأخلدت الممرضة دقيقتين إلى الصمت زوى في أثنائهما ما بين حاجبيها ثم نهضت فجأة الى درج أخرجت منه ظرفاً قدمته إلى بوارو قائلة : سأخبرك كيف وقع بين يدي . فقد ثارت شكوكي عندما وجدت العجوز تغدق على الفتاة عطفاً غير عادي ، ثم سمعت جيرارد في مرضه يهذي ويقول ان ماري

ليست ابنته ، فلما ماتت الفتاة وذهبت إلى الكوخ لإخلائه عثرت في درج على الخطاب بين أوراق الكهل ورأيتني مدفوعة إلى قراءته .

وقرأ بوارو على الظرف : « الى ماري - يسلم اليها بعد موتي » .

ورأى الحبر باهتاً فقال : هذه الكتابة ليست حديثة .

فأجابته الممرضة . ليس جيرارد كاتبة ولكن زوجته التي ماتت منذ أربعة عشر عاماً ويبدو أن جيرارد حفظه بين أوراقه ثم نسيه أو لم يعن باعطائه للفتاة بعد موت أمها فلم تقرأه لحسن حظها وإلا ما استطاعت أن تظل مرفوعة الرأس الى أن توفيت

وسكتت لحظة ثم استرسلت تقول : لقد كان الظرف مغلقاً ولكنني سمحت لنفسي بفتحه وتلاوة الخطاب الذي بداخله اعتماداً على ان أبطال القصة قد ماتوا جميعاً يحسن أن تقرأه بنفسك يا مسيو بوارو .

وقرأ بوارو ما جاء في ذلك الخطاب :

« هذه هي الحقيقة اكتبها لعل الحاجة يوماً الى معرفتها. لقد كنت وصيفة مسز ويلمان في هنتربري ونعمت بعطفها وحدبها سنوات وقد حدث ان تورطت في محنة تهدد سمعتي وشرفي فوقفت مسز ويلمان إلى جانبي والحقتني بخدمتها ولكن طفلي مات بعد ايام . وفي تلك الأثناء كانت سيدتي تحب السير لويس رايكروفت وكان بدوره يحبها الى درجة العبادة ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يتزوجها لأن له زوجة في مستشفى الأمراض العقلية . ولما شعرت سيدتي بالجنين ينمو في أحشائها أخذتني معها إلى اسكتلندا حيث أنجبت طفلتها وحدث ان كتب الي جيرارد وهو الرجل الذي غرر بي ليكفر عن اساءته فكان ان عدت اليه وتزوجته واتفقنا على أن نعيش في الكوخ قريباً من مسز ويلمان وأن يعتبر (ماري) ابنته وأن ترعاها والدتها مسز ويلمان وترعانا بخيرها وكرمها . وهكذا جهلت ماري الحقيقة المرة وأمسكت لساني عن ذكر القصة لأي إنسان ولكني أرى من واجبي قبل ان أموت ان اسجل

كتابة حقيقة ما حدث » .

الامضاء : اليزا رايلي

وتنهد بوارو ثم طوى الخطاب فقالت الممرضة في قلق :

– والآن ماذا تنوي ان تعمل ؟ لقد مات أبطال القصة جميعاً كما ترى ولا فائدة من نبش قبورهم خصوصاً وقد كان الناس يرمقون مسز ويلمان بالإجلال والاحترام ومن القسوة جر اسمها الآن في الأوحال والأقذار وكذلك كانت ماري فتاة دمثة طيبة ولا يجدر ان يعلم الناس انها كانت ابنة سفاح ، دع بالله عليك الموتى هادئين سالمين في قبورهم .

– أخشى ان يكون لهذا الوضع دخل في الجريمة .

– لا أظن .. لا أظن .

ثم خرج بوارو من الكوخ والمرأة مشدوهة تحملق فيه في قلق وحيرة ومـا ان سارا قليلاً حتى أحس بوقع اقدام مترددة تتبعه . ولمـا التفت وراءه رأى البستاني هرليك بادي الارتباك يعتصر قبعته بين يديه فسأله :

– ماذا يا هرليك ؟

– هل أستطيع ان أفضي اليك بكلمة يا سيدي .

– طبعاً .. طبعاً .

– إن السيارة التي كانت خارج البوابة الخلفية في صبـاح ذلك اليوم كانت سيارة الدكتور لورد .

– أواثق انت من هذا ؟

– كل الثقة يا سيدي لأني أعرفها جيداً واحفظ رقمها وهو ٢٠٢٢ .

– ولكن الدكتور ينفي ذلك ويقول انه كان في ويزنبري في ذلك الصباح.

– أقسم لك ان تلك السيارة كانت سيارته .

– شكراً يا هرليك .

الفصل الثالث عشر

لم تدر اليانور هل كان الطقس شديد الحرارة او البرودة لأنها كانت جالسة في قفص الاتهام ذاهلة العقل شاردة اللب زائغة العينين لهول ما ترى وتسمع. وكانت تحس بالرعدة تتمشى في اوصالها رغم العرق المتصبب من جبينها وهـي تستمع إلى وكيل النيابة يعود إلى الماضي. من يوم تلقت الخطـاب الغفـل من الإمضاء الى يوم قابلها مفتش البوليس وقال لها

— لدي أمر بالقبض عليك يا مس اليانور كارليسل بتهمة قتل ماري جيرارد بدس السم لها في ٢٧ يوليو الماضي. واحب ان انبهك الى ان كل كلمة تنطقـين بها سوف تسجل عليك وتجابهين بها يوم المحاكمة.

والآن .. ها هي تجلس في قفص الاتهام تنتهبها الأنظار الحانقة الساخطة. وها هم المحلفون يتحـاشون النظر اليها كأنما يعلمون أي كلمة هائلة ستنطق بها السنتهم بعدما سمعوه من قوة الاتهام ونودي الدكتور لورد ليدلي بشهادته فوقف بوجهه الذي يعلوه الاكتئاب ليجيب في نغمـة رتيبة ويقول انـه دعي تليفونياً الى هنتربري بعد أن فات الأوان فوجد ماري جيرارد تلفظ انفاسها الأخيرة ثم ما لبثت ان ماتت بعد بضع دقائق وكان موتها بتأثير المورفين.

وحينئذ وقف المحامي السير أ.وين بالمر وقال :

– لقد ترددت على هنتربري مرات في يوليو الماضي وقابلت المتهمة وماري جيرارد معاً فكيف كان سلوك المتهمة نحو القتيلة ؟

– غاية في الود والائتلاف .

فابتسم السير ادوين ابتسامة يشوبها الاستخفاف وعاد يسأله :

-- ألم تلحظ اي دليل على الكراهية أو الغيرة بين الاثنتين مما تلوكه الألسن ؟

– كلا .. اطلاقاً .

وتبينت اليانور مبلغ الكذب المتعمد في الأقوال التي ادلى بها الطبيب الشرعي حين اسهب في شهادته وذكر نوع السم الذي ماتت به ماري جيرارد وكيف تبدو اعراضه على الضحية قبل وبعد ان تعالجه منيته .

وفي اليوم التالي عقدت المحاكمة مرة اخرى ونودي اخصائي التحليل فتحدث عن محتويات معدة القتيلة وكيف امتزج المورفين بالخبز والسمك والشاي وتدل كميته على انها لا تقل عن أربع قمحات تكفي لقتل اكثر من اربعة اشخاص ، واذ ذاك سأله السير ادوين : لقد وجدت في معدة القتيل خبزاً وزبداً وسمكاً وشاياً ومورفيناً فهلا وجدت شيئاً آخر ؟

– كلا . ويجوز ايضاً ان يكون المورفين قد ابتلع وحده ثم اختلط في المعدة بمحتوياتها الأخرى .

– ولكن وجوده يقطع بأنه اخذ في نفس الوقت مع الطعام الآخر والشاي واللبن !

– هو ذلك يا سيدي .

– شكراً ..

ثم نودي المفتش بريل وبعد أن حلف اليمين قال : دعيت إلى المنزل ، ولما توليت البحث عثرت على قصاصة صغيرة تحت الحوض أدركت أنها نزعت عن أنبوبة المورفين أعني من البطاقة التي حولها ..

وتناول المحلفون القصاصة وتفرسوا فيما كتب عليها . « مورفين . نصف قمحة .. »

ونهض محامي الدفاع يسأل الشاهد : وهل عثرت على بقية البطاقة ؟

ـ كلا ..

ـ هل عثرت على أنبوبة من الزجاج أو أي قارورة كانت تلك البطاقة مثبتة عليها ؟

ـ كلا ..

ـ في أي حالة كانت تلك القصاصة عندما عثرت عليها ؟

ـ كانت نظيفة إلا من بعض الغبار الذي لحق بها من القائها على الأرض منذ وقت قصير ..

ونوديت الممرضة هوبكنز فوقفت بادية الاعتداد بنفسها غير هيابة أو وجلة ثم قالت : إسمي جيسي هوبكنز وأقيم في كوخ في هنتبري .

ـ هل أنت ممرضة المنطقة ؟

ـ نعم .

ـ أين كنت في ٢٨ يوليو الماضي ؟

ـ في منزل مسز ويلمان إذ أصابتها نوبة من الشلل فدعيت لمساعدة الممرضة أوبريان إلى أن يجدوا ممرضة أخرى مقيمة ؟

ـ هل حملت معك حقيبة صغيرة ؟ وماذا كان بها ؟

ـ كان بها أربطة وضماضات ومحقن تحت الجلد وبعض الأدوية والعقاقير وأنبوبة من هيدرو كلوريد المورفين .

ـ ولماذا كنت تحتفظين بهذه الأنبوبة ؟

ـ لمعالجة إحدى المريضات في القرية باعطائها حقنة في الصباح وأخرى في المساء .

ـ وماذا كانت تحوي ؟

– عشرين قرصاً يحتوي كل منها على نصف قمحة من هيدو كلوريد المورفين ..
– وماذا فعلت بحقيبتك ؟
– وضعتها في الردهة .
– كان ذلك في مساء ٢٨ يوليو فمتى أتيح لك مشاهدتها مرة أخرى ؟
– في الصباح التالي حوالي الساعة التاسعة عندما كنت أهم بمغادرة المنزل .
– هل وجدت شيئاً من محتوياتها مفقوداً ؟
– نعم .. أنبوبة المورفين .
– أذكرت ذلك لأحد ؟
– تحدثت عن فقدها إلى الممرضة أوبريان التي كانت ترعى المريضة .
– هل وضعت الحقيبة في ردهة يذرعها الناس جيئة وذهاباً ؟
– نعم ..
– هل كنت تعرفين الفتاة الميتة – ماري جيرارد – معرفة جيدة ؟
– نعم .
– وما كان رأيك فيها ؟
كانت فتاة طيبة ظريفة حلوة الشمائل .
– هل كانت سعيدة في حياتها ؟
– ومشرقة كالورد المتفتحة .
– ألم تهمها شواغل تعرفينها ؟
– كلا .. إطلاقاً .
– هل كانت وقت موتها تشعر بتعاسة أو ابتئاس أو تخشى مستقبل أيامها
– كلا لا شيء من هذا القبيل .
– هل كان لديها من الأسباب ما يدفعها إلى الانتحار ؟
– كلا .. كلا .. قلت أنها كانت سعيدة مشرقة ثم راحت تروي كيف

رافقتها إلى الكوخ وتحدثت عنقدوماليانور ودعوتها لهما إلى تناول السندويتش وكيف قدمت الصحفة إلى ماري ثم كيف اقترحت غسل كل شيء حتى علبة السمك المحفوظ وكيف اقترحت كذلك على الممرضة هوبكنز أن تصعد معها لتساعدها في فرز الملابس .

وقد قاطعها السير أدوين مراراً أثناء هذه الرواية بينما قالت اليانور لنفسها : هذا كله حقيقي . هذا هو الواقع وإن كان مخيفاً !

وتطلعت مرة أخرى عبر القاعة فشاهدت بوارو يتأملها وهو غائص في يم من التفكير وقد تبددت آيات الرثاء والاشفاق عن أساريره .

وامتدت يد وكيل النيابة إلى الشاهدة بقصاصة الورق ثم سألها :

ــ أتعرفين ما هذه ؟

ــ هذه قطعة من بطاقة .. بطاقة أنبوبة تحتوي على أقراص المورفين . كالأنبوبة التي فقدت من حقيبتي .

ــ أواثقة أنت من ذلك !

ــ كل الثقة . هذه منزوعة منأنبوبتي .

فقال القاضي :

ــ كل ما تستطعين قوله أنها تشبه البطاقة التي كانت على أنبوبتك لا أنها نفس البطاقة

ــ هذا ما أعنيه يا سيدي .

وارجئت المحاكمة إلى اليوم التالي . وبدأ السير أدوين في استجواب الممرضة فسألها في حدة :

ــ هذه الحقيبة التي سمعنا عنها الكثير ، هل تركتها في ٢٨ يوليو في الردهة الكبيرة !

فأجابته الممرضة هوبكنز : نعم .

ــ ولكن هذا اهمال شنيع !!

– هو ذلك للأسف .

– أهي عادتك دائماً ان تتركي العقاقير الخطرة حيث يستطيع اي إنسان ان يحصل عليها ؟

– كلا بالطبع يا سيدي .

– ولكنك فعلت ذلك في تلك الليلة فكان في وسع اي انسان بالمنزل ان يحصل على المورفين متى اراد ؟

– اظن ذلك .

– لا أظن هناك .. بل هو الذي حدث !

– نعم .. كان بي وسع واحد من الخدم ان يأخذه .. كما كان ذلك في مقدور الطبيب ومستر رودريك ويلمان والممرضة اوبريان وماري جيرارد نفسها .

– هل فطن احد الى انك تحملين المورفين في حقيبتك ؟

– لا اعلم ..

– الم تتحدثي عن ذلك الى أحد !

– كلا ..

– إذن فلم تكن مس اليانور تعلم ان بحقيبتك مورفيناً ؟

– إلا اذا كانت فتحتها ونظرت الى ما فيها .

– هل ترين ان من المحتمل حدوث ذلك ؟

– لا أدري ..

– وماري جيرارد .. أكانت تعلم بوجود المورفين ؟

– كلا .. اطلاقاً

– ولكنها تتردد على كوخك .

– ليس كثيراً ..

– إن ترددها على كوخك . يتيح لها ان تعرف ما تضعينه في

حقيبتك ..

– لا أظن يا سيدي . لا أعتقد انها كانت تعلم بوجود المورفين في الحقيبة .

– ألم تقولي في الصباح لزميلتك الممرضة أوبريان انك تركت الأنبوبة في منزلك وانك سوف تعودين من أجلها ؟

– كلا لم يحدث هذا ؟

– ألم تقولي انك تركت الأنبوبة على الموقد في كوخك ؟

– كان ذلك مجرد تخمين عندما لم أجدها في الحقيبة .

– وكيف يتفق التخمين مع تأكيدك انها كانت في الحقيبة أثناء وجودها بردهة هنتربري ؟

– لأنني عدت فتذكرت اني وضعته في الحقيبة .

– الواقع انك امرأة شديدة الاهمال !

– هذا ليس صحيحاً .

– هل الحت الى وخز وردة برسغك في ٢٧ يوليو .. يوم توفيت ماري جيرارد ؟

– لا أرى دخلا لذلك فيما نحن فيه !

وتدخل القاضي: هل تصر على سؤالك يا أدوين ؟

فأجاب هذا :

– نعم لأن له دخلا كبيراً في مهمة الدفاع ولأن في نيتي دعوة شهود لإثبات أن هذا الوخز كان اكذوبة .

ثم استطرد يقول للشاهدة :

– أما زلت تقولين بأن شوكة ورد قد وخزت رسغك في ٢٧ يوليو ؟

– نعم .. نعم ..

وتجلى التحدي في عيني الممرضة ولكن محامي المتهمة عاد يسألها :

– متى حدث ذلك ؟
– قبل مغادرتي الكوخ في طريقي الى المنزل في صبيحة ٢٧ يوليو
– أي نوع من أشجار الورد كانت تلك الشجرة ؟
– من النوع المتسلق النامي خارج الكوخ .
– أواثقة انت من ذلك ؟
– كل الثقة . .
فصمت السير أدوين لحظة ثم سألها :
– أما زلت مصرة على أن المورفين كان في حقيبتك عندما قدمت إلى هنتربري في ٢٨ يوليو ؟
– نعم . . كانت الأنبوبة في حقيبتي حينذاك .
– وماذا لو اقسمت الممرضة أوبريان انك رجحت تركها في منزلك ؟
– هذا لا يمنع من انني واثقة من ان الأنبوبة كانت في حقيبتي .
– ألم يساورك القلق عندما اكتشفت فقدها ؟
– كلا .
– رغم علمك بأن فقدها يعني فقد كمية كبيرة من العقاقير الخطرة ؟!
– لم يدر بخاطري آنذاك ان انساناً اخذها .
– ولماذا لم تبلغي رسمياً عن فقدها ؟
– لأني لم أتوجس خيفة لفقدها كما قلت .
وتضرجت وجنتاها عندما عاد يقول :
– هذا اهمال إجرامي من جانبك يدل على انك لا تقدرين التبعات .
– هل حدث في ٦ يوليو ان كتبت ماري جيرارد وصيتها ؟
– نعم ضناً منها ان هذا ما توجبه الحكمة .
– ألم يكن ذلك بسبب شعورها بالضيق او القلق على مستقبلها ؟

ـ هراء .

ـ أتعلمين شيئاً عما تمتلكه الفتاة ، ويصح أن يرثه الغير عنها ؟

ـ لم تكن تملك شيئاً على الاطلاق إذ ذاك ، ولكنها كانت توشك ان تحصل على الفي جنيه من مس اليانور

ـ بطريق الإكراه ام كرماً من مس اليانور .

ـ كرماً منها وبمطلق حريتها .

ـ وكيف يتأتى هذا مع كراهيتها لماري

ـ لا أدري . .

ـ ألم تسمعي ثرثرة أو شائعات عن العلاقة بين ماري جـــيرارد ومستر رودريك ويلمان .

ـ لقد كان معجباً بها مفتوناً بجمالها .

ـ هل لديك دليل على ذلك .

ـ كلا . . فقد لاحظت ذلك

ـ أخشى الا يقنع المحلفون بأنك لاحظت ذلك ، الم تقولي مرة ان ماري كانت تعلم انه خطيب اليانور وانها صارحته بذلك في لندن.

ـ هذا ما قالته لي

وهنا تدخل وكيل النيابة ليسألها :

ـ عندما كانت ماري جيرارد تتحدث اليك عن وصيتها هل حدث ان اطلت المتهمة من النافذة ؟

ـ نعم فعلت ذلك

ـ وماذا قالت ؟

ـ قالت « هذا مضحك ! هذا عجيب » ثم ضجت بالضحك مرات وفي اعتقادي انها منذ تلك اللحظة خامرتها فكرة التخلص من ماري وقررت في نفسها قتلها .

فصاح القاضي محتداً : الزمي الإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليك فلسنا في حاجة الى سماع ما تعتقدين ! ارجو حذف الجزء الأخير من جوابها .

وقالت اليانور لنفسها يا للعجب أيريد حذف ما هو حقيقي ؟

ثم ودت لو تستطيع الضحك عالياً .

وجاء دور الممرضة اوبريان فاقسمت اليمين وسئلت :

ـ هل افضت اليك الممرضة هوبكنز بشيء في صبيحة يوم ٢٩ يوليو ؟

فأجابت : نعم حدثتني عن اختفاء انبوبة مورفين كانت في حقيبتها ، وقد ساعدتها في البحث عنها بلا فائدة .

ـ هل تركت الحقيبة طوال الليل في الردهة ؟

ـ نعم ..

ـ أكان مستر ويلمان والمتهمة يقيمان في المنزل عندما ماتت مسز ويلمان أي من ٢٨ يوليو إلى ٢٩ منه

ـ نعم .

ـ هل لك ان تقصي علينا حادثاً وقع في ٢٩ يوليو .. اي في اليوم التالي لوفاة مسز ويلمان ؟ .

ـ شاهدت مستر رودريك يحدث ماري جيرارد عن حبه ورأيته يحاول تقبيلها رغم انه كان خطيباً لمس اليانور .

ـ وماذا حدث بعد ذلك .

ـ طلبت اليه ماري ان يخجل من نفسه وهو خطيب لاليانور .

ـ ما رأيك الخاص في شعور المتهمة نحو ماري جيرارد !

ـ كانت تكررها وتنم نظراتها عن الرغبة في كتم انفاسها

ـ هل حدث ان قالت لك الممرضة هوبكنز انها ربما تركت انبوبة المورفين في منزلها ؟

ـ نعم قالت ذلك .

ـ اكانت بادية القلق من جراء اختفاء الانبوبة .

ـ كلا .. لأنها لم يخامرها ظن في ان يكون انسان ما قد اخذها ؟

ـ ألم يحدث اي شجار بين المتهمة وماري جيرارد ؟

ـ كلا لا شيء من هذا قط

ـ هل انت ايرلندية ؟

ـ نعم .. وماذا في ذلك !

ـ لا شيء سوى ان الايرلنديين مشهورون بسعة الخيال .

ـ ثق ان كل ما قلته هو الواقع بلا زيادة او نقصان .

ووقف البدال يدلي بشهادته القصيرة في تعثر وارتباك ويؤيد ما قالتـــه المتهمة عن حوادث التسمم بالسمك .

الفصل الرابع عشر

وبدأ الدفاع خطابه قائلاً :

« سادتي المحلفون :

يحق لي أن أقول أن لا وجه لإقامة الدعوى على المتهمة ولا شك عندي أنكم لا تجدون ما يدعو إلى إتهامها . يقول الاتهام ان اليانور كارلسيل حصلت على المورفين لتسمم ماري جيرارد مع أن هذه التهمة نفسها يمكن أن توجه بنفس السهولة الى جميع من كانوا بالمنزل في ذلك الوقت وأتيحت لهم نفس الفرصة وقد اعتمد الاتهام على هذه الفرصة وحدها ثم حاول البحث عن الدافع حيث لا دافع على الاطلاق . أما فصم الخطوبة بين اليانور ورودريك ويلمان فليس سبباً لارتكاب جريمة قتل وإلا لسمعنا في كل يوم عن حوادث قتل متعددة من هذا القبيل .

ثم أرجو ان تلاحظوا ان هذه الخطوبة لم تكن وليدة حب جارف بل خطوبة ولدتها العلاقة العائلية وحدها وترعرع الاثنين معاً .. وكذلك أرجو أن تلاحظوا ان فصم الخطوبة لم يجيء من الخطيب وإنما من المتهمة ، وفي وسعي ان اؤكد لكم ان هذه الخطوبة ما كانت لتتم إلا رغبة في ارضاء العجوز مسز

ويلمان . فلما ماتت تحقق الخطيبان من ان شعورهما ليس من القوة والتبادل بحيث يبرر زواجهما فانفصمت الخطوبة .

« هذا وقد شاء كرم اليانور ودماثة خلقها ورقة طبعها ان تهب ماري جيرارد مبلغاً كبيراً من المال الذي ورثته . ثم نأتي الآن ونتهمها بقتلها فهل بعد ذلك تناقض ؟

« ان كل ما يؤخذ على اليانور الظروف التي تمت فيها واقعة التسمم دون أن ينهض دليل واحد على ادانتها بتلك الجريمة المروعة .

« لقد نهض ممثل الاتهام فقال : ما كان في وسع أحد غير اليانور كاليسل ان يقتل ماري جيرارد . »

« ولما طلب اليه إيجاد الدافع لم يستطع لأنه لا دافع لدى اليانور إلى ذلك على الاطلاق . ثم لماذا نقطع بقتل الفتاة ومن الجائز أن تكون قد انتحرت ؟ ولماذا لا يكون هناك من دس السم في السندويتش عندما كانت اليانور في الكوخ ! ولماذا لا نبحث عن شخص ثالث أتيحت له نفس الفرص وكان المورفين في حيازته ولديه الدافع الكافي لقتل ضحيته ؟ سوف أدعو لكم من الشهود من يؤيد هذا ولكنني سأطلب اولاً الى المتهمة ان تروي لكم قصتها بنفسها لتروا بأنفسكم على اي أساس واه اقام الاتهام دعواه » .

ومضت اليانور تقسم اليمين وتجيب عن أسئلة السير أدوين في صوت خافت بينما انحنى القاضي الى الأمام وطلب اليها ان ترفع صوتها ، وكان صوت السير أدوين رقيقاً مشجعاً وهو يقول :

– هل كنت تحبين رودريك ويلمان ؟

– جداً فقد كان أشبه بأخ لي وابن عم .

– هل توترت العلاقة بينكما قليلا بعد موت عمتك ؟

– نعم .

– لأي سبب ؟
– لشعور رودريك بأن الناس قد يرون في زواجنا صفقة تجارية من جانبه .
– ألم يكن لماري جيرارد دخل في فصم خطبتكما .
– أظن رودريك قد استهواه جمالها ولكنني لا اعتقد انه كان جاداً في سعيه وراءها .
– أكنت تتألمين لو كان جاداً في عواطفه نحوها ؟
– كلا .. إذ كنت اراها غير جديرة به .
– هل أخذت أنبوبة مورفين من حقيبة الممرضة هوبكنز في ٢٨ يوليو
– كلا .. ابداً
– هل كنت تعلمين أن العمة لم تكتب وصية من قبل؟
– كلا ولذلك دهشت عندما فوجئت بأنها تطلب محاميها لتكتب وصيتها .
– ولماذا فكرت في منح ماري جيرارد الفي جنيه من ميراثك .

– لأن عمتي عاجلها الموت قبل ان تستطيع كتابة وصيتها ولو فعلت لكتبت شيئاً لهذه الفتاة لأنها كانت تحبها وكانت شديدة القلق في ليلة موتها لأنها لم تكتب لها شيئاً من قبل ولهذا وجدتني مسؤولة عن ضمان مستقبل الفتاة ومطالبة برد جميلها ومكافآتها على ما أظهرته لعمتي من العطف والرعاية والحنان .

– هل قدمت من لندن في ٢٦ يوليو ونزلت في فندق كنجز آرمز ؟
– نعم .
– وماذا كان غرضك من الذهاب الى هنتربري ؟

– تلقيت عرضاً بشأن المنزل والرجل الذي اشتراه اراد ان ينتقل اليه في أسرع وقت ممكن فكان علي ان أفرز متلكات عمتي الشخصية وأن ارتب الأمور عامة .

– هل اشتريت بعض المـــأكولات وانت في طريقك الى المنزل يوم ٢٧ من يوليو ؟

– نعم ظننت أنه من الأسهل شراء غذاء جاهز لأتناوله هناك بدلاً من العودة الى القرية .

– هل ذهبت بعد ذلك إلى المنزل وهل قمت بفحص حاجات عمتك الشخصية ؟ .

– نعم فعلت .

– وبعد ذلك ؟

– نزلت إلى المطبخ وأعددت بعض الشطائر « السندويتشات » ثم ذهبت إلى الكوخ الملحق بالمنزل ودعوت الممرضة وماري جيرارد للحضور إلى المنزل

– لماذا فعلت ذلك ؟ .

– أردت أن أجنبهما مشقة السير في الحر للذهاب إلى القرية ثم العودة مرة أخرى .

– إذن كان عملك طبيعياً ويدل على الطيبة من ناحيتك وهل قبلتا الدعوة ؟ .

– نعم وسارتا معي إلى المنزل.

– أين كانت « السندويتشات » التي أعددتها ؟ .

– تركتها في المطبخ على طبق .

– هل كانت النافذة مفتوحة ؟ .

– نعم .

– هل كان بامكان أي شخص الدخول إلى المطبخ في أثناء غيابك ؟ .

– طبعاً .

– اذا كان هناك شخص يقوم بمراقبتك من الخارج أثناء اعدادك «السندويتشات » فماذا كان يدور بخلده؟

– أعتقد أنه كان يظن أنني أعد غداء خفيفاً مثل الذي يعد للرحلات .

– ما كان ليعلم إذن أن أحداً سيشاطرك الغداء ؟ .

– لا .. لأن فكرة دعوة الأثنتين لم تخطر لي الا عندما رأيت كمية الطعام

التي عندي .

– إذن فانه إذا كان أحد قد دخل المنزل أثناء غيابك ووضع المورفين في أحد « السندويتشات » فان المقصود بذلك هو « تسميمك » أنت ؟ ..

– أظن ذلك .

– ما الذي حدث عندما وصلتم جميعاً إلى المنزل ؟ .

– ذهبنا إلى غرفة الجلوس وأحضرت « السندويتشات » وقدمتها للاثنتين .

– هل شربت معهما شيئاً ؟.

– شربت ماء وكانت هناك بيرة على المائدة ولكن الممرضة هوبكنز وماري فضلتا الشاي وذهبت الممرضة هوبكنز إلى المطبخ واعدته وأحضرته على صحفة وقامت ماري بصبه .

– هل شربت منه شيئاً ؟ .

– لا .

– ولكن الممرضة هوبكنز وماري شربتا شاياً ؟ .

– نعم .

– ماذا حدث بعد ذلك ؟

– ذهبت الممرضة هوبكنز وأطفأت موقد الغاز .

– وتركتك وحدك مع ماري جيرارد ؟

– نعم ..

– ماذا حدث بعد ذلك ؟

– بعد دقائق قليلة رفعت الصحفة وطبق « السندويتشات » وحملتها إلى المطبخ وكانت الممرضة هوبكنز هناك وقمنا نحن الاثنتين بغسل الصحاف والاقداح .

– هل كانت أكمام الممرضة هوبكنز مرفوعة في ذلك الوقت ؟ .

– نعم لأنها كانت تغسل الأوعية على حين كنت أنا أقوم بتجفيفها .

ـ هل أدليت لها بملاحظة معينة عن خدش في رسغها ؟ .
ـ سألتها إذا كانت قد وخزت نفسها .
ـ وماذا كان جوابها ؟ .
ـ قالت « أنها شوكة من شجرة الورد التي في خارج الكوخ وسأخرجها حالاً » .

ـ ماذا كانت عليه تصرفاتها في ذلك الوقت ؟ .
ـ أظن أنها كانت متأثرة بالحرارة إذ كانت غارقة في العرق وكان وجهها شديد الشحوب .

ـ ما الذي حدث بعد ذلك ؟ .
ـ ذهبنا إلى أعلى وساعدتني في الأشياء الخاصة بعمتي .
ـ ومتى نزلتما فيه إلى « الطابق » الأرضي مرة أخرى ؟ .
ـ بعد حوالي ساعة .

ـ أين كانت ماري جيرارد وقتئذ ؟
ـ كانت جالسة في غرفة الجلوس وكانت تتنفس بصعوبة وهي في غيبوبة فطلبت الدكتور تليفونياً بناء على تعليمات الممرضة هوبكنز ووصل قبل أن تموت بلحظات .

وهنا نصب سير أدوين قامته في حركة « دراماتيكية » وقال :
ـ مس كارليسل . هل قتلت ماري جيرارد ؟ .
وبرأس مرتفع وعينان تنظران اليه في استقامة قالت :
ـ لا . .

وجاء دور سير صامويل اتنبري ممثل الادعاء فاذا بقلبها يخفق بشدة . . الآن . . الأن ستكون تحت رحمة العدو . لن تكون هناك رقة . لن تكون هناك أسئلة تعرف الاجابة عنها . .
ولكنه بدأ أسئلته رفيقاً قال ·

ـ هل كنت مخطوبة وعلى أهبة الاقتران بمستر رودريك ويلمان كما قلت لنا ؟ .

ـ نعم .

ـ هل كنت مغرمة به ؟ .

ـ جداً .

ـ وأنا أقول أنك كنت هائمة بحب روديك ويلمان وتغارين بشدة من حبه لماري جيرارد ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ انك قررت باصرار ان تزيحي تلك الفتاة من طريقك على أمل أن يعود اليك رودريك ويلمان .

ـ طبعاً لا . .

وتتابعت الأسئلة . كانت كأنها في حلم .. حلم سيء . كابوس .. سؤال يليه سؤال .. أسئلة مؤلمة ومفزعة .. وكانت معدة من قبل للاجابة عن بعضها ولكن البعض الأخر كان مفاجأة لم تستعد لها ..

وكانت تحاول دائما ان تتذكر « الدور » الذي عليها ان تؤديه والا تنسى ذلك مرة واحدة .. كأن تقول مثلاً :

ـ نعم .. لقد كنت اكرهها .. نعم .. لقد تمنيت لهـا الموت نعم طوال الوقت الذي كنت اعد فيه « السندويتشات » كنت افكر في موتها ..

وكان عليها دائماً أن تبقى متماسكة وان تكون إجاباتها مقتضبة وخالية من الانفعال على قدر الامكان ..

لقد انتهى الأمر الآن .. وهذا الرجل ذو الأنف اليهودي بدأ يجلس وها هو ذا صوت سير أدوين بلومر الرقيق العطوف يلقي عليها مرة اخرى قليلاً من الأسئلة ..

اسئلة سهلة سارة الغرض منها ازالة الأثر السيء الذي تركته اسئلة الادعاء

* * *

وها هو رودي يتقدم للادلاء بأقواله .. وقد ظهر عليه انه كاره للأمر كله .. وكأنه ليس هو حقاً . ولكن لا شيء حقيقي بعد .. فكل شيء بدبر بطريقة شيطانية .. فالأسود قد صار أبيض وما كان في القمـــة أصبح في الحضيض والشرق أصبح غرباً .. وأنا . أنا است اليانور كارليسل .. لقد أصبحت « المتهمة » . وسواء شنقوني أو اخلو سبيلي فلن يعود اى شيء إلى ما كان عليه من قبل . لو كان هناك شيء .. شيء واحد معقول اتمسك به . فربما يكون وجه بيتر لورد .

اين وصل سير ادوين الآن ؟

ــ هلا قلت لنا ماذا كانت عليه مشاعر مس كارليسل نحوك ؟

وأجاب رودي بصوته الرقيق :

ــ أقول إنها كانت تميل اليّ بشدة ولكنها بالتأكيد لم تكن تحبني عاطفياً .

ــ هل كنت راضياً عن خطيبتك ؟

ــ تماماً .. فنحن متوافقان في كثير من الأمور .

ــ هلا ذكرت للمحلفين يا مستر ويلمان لماذا فسخت الخطبة ؟

ــ حسناً .. بعد موت مسز ويلمان أظن اننا أصبنا بصدمة وأنا لم أعجب بفكرة الزواج بامرأة غنية في الوقت الذي لا أملك فيه شيئاً .. وفي الواقع ان الخطبة قد الغيت بناء على اتفاق متبادل .. ولقد شعر كلانا بضرورة الخلاص .

ــ والآن هلا ذكرت لنا بالضبط ماذا كانت عليه علاقتك بماري جيرارد؟

(أوه .. رودي .. رودي المسكين .. لا بد انك كاره لكل هذا ..)

ــ ظننت انها جميلة جداً

- هل كنت تحبها ؟
- قليلا ..
- متى كان آخر مرة رأيتها فيها ؟
- دعني اتذكر .. لا بد ان ذلك كان اما يوم ٥ او يوم ٦ من يوليو
فقال سير ادوين وفي صوته نبرة فولاذية :
- اظن انك رأيتها بعد ذلك .
- لا .. لقد ذهبت إلى الخارج .. الى البندقية ودالماسيا ..
- متى عدت إلى انجلترا ؟
- عندما تسلمت برقية .. دعني اتذكر .. في اليوم الأول من اغسطس .
- ولكني أظن انك كنت في انجلترا يوم ٢٧ من يوليو .
- لا ..
- تذكر انك قد اقسمت اليمين يا مستر ويلمان . الا يدل جواز سفرك على انك عدت الى انجلترا يوم ٢٥ من يوليو وغادرتها مرة أخرى ليلة ٢٧ من يوليو ؟

وكان في صوت سير ادوين نبرة تهديد .. وقطبت اليانور جبينها وقد عادت إلى الواقع فجأة . لماذا يقوم الدفاع بمهاجمة الشاهد الذي يستند اليه ؟
وكان وجه رودي قد شحب . وقد ران عليه الصمت دقيقة أو دقيقتين .. ثم قال في صعوبة .

- حسناً .. نعم .. هذا هو الواقع .
- هل ذهبت لرؤية تلك الفتاة ماري جيرارد في لندن في مسكنها يوم ٢٥ من يوليو ؟

- نعم . فعلت .
- هل طلبت منها ان تتزوجك ؟
- نعم .

– ماذا كان جوابها ؟
– رفضت .
– أنت لست غنياً يا مستر ويلمان ؟
– لا ..
– وأنت مدين بمبالغ كبيرة ؟
– وما دخلك أنت ؟
– ألم تكن على علم بأن مس كارليسل قد تركت لك كل أموالها في حالة موتها ؟
– هذه أول مرة اسمع فيها ذلك .
– هل كنت في ميدنز فورد في صباح يوم ٢٧ من يوليو ؟
– لم أكن .
وجلس سير أدوين .
فقام ممثل الادعاء ليسأل :
– تقول انك تظن ان المتهمة لم تكن تحبك بشدة ؟
– هذا ما قلته ..
– هل انت رجل شهم يا مستر ويلمان ؟
– لا أعرف ماذا تعني ؟
– إذا كانت هناك سيدة تحبك بشدة وانت لا تحبها فهل تشعر ان من واجبك ان تخفي الحقيقة ؟
– طبعاً لا .
– أين كانت دراستك يا مستر ويلمان ؟
– في أيتون .
فقال سير صامويل بابتسامة هادئة :
– هذا كل شيء .

***

وتوالى الشهود .

الفريد جيمس وارجريف .

- هل تعمل في تربية الزهور وتسكن في امزورث ببركنز ؟

— نعم .

— هل ذهبت يوم ٢٠ من اكتوبر الى ميدنز فورد لتفحص شجرة ورد نامية خارج الكوخ الملحق بهنتربري .

— فعلت .

— هلا وصفت لنا تلك الشجرة ؟

— انها من أشجار الورد المتسلقة وزهرتها قرمزية ذات رائحة جميلة وليس لها أشواك .

— هل من المستحيل اذن أن يؤخذ المرء من شجرة ورد من ذلك النوع ؟

— من المستحيل تماماً . فانها شجرة غير ذات أشواك .

لا اسئلة من الطرف الآخر .

* * *

— هل انت جيمس آرثر ليتلديل .. كيميائي مؤهل تعمل لدى تاجري الجملة الكيميائيين جنكز وهيل ؟

— نعم ..

— هل ذكرت لنا ما هذه القصاصة من الورق ؟

وقدم له المستند .

- إنها قصاصة من احدى بطاقاتنا البطاقات التي نلصقها على أنابيب اقراص المورفين .

— هل انت واثق من ذلك ؟

— نعم انها من أنبوبة هيدروكلوريد أبومورفين .

- أليست بطاقة انبوبة هيدروكلوريد المورفين ؟

- لا .. لا يمكن أن تكون كذلك .

- لماذا ؟.

- في الحالة الأخيرة يكتب حرف الميم في مورفين كبيراً ونهاية حرف الميم هنا كما آراه بالعدسة المكبرة بوضوح يدل على انه جزء من حرف ميم صغير وليس بكبير .

- أرجو ان تدعني اقدم القصاصة للمحلفين ليفحصوها بالعدسة المكبرة.. وهل معك بطاقات نستشهد بها على ما قلت ؟

وقدمت البطاقات المحلفين ليفحصوها ..

ثم تابع سير ادوين استجوابه :

- قلت ان تلك القصاصة من أنبوبة هيدروكلوريد آبومورفين ؟ ما هو بالضبط الهيدروكلوريد آبومورفين ؟

- إن رمزه الكيميائي هو : ك ١٧ يد ١٧ ز م ٢ وهو أحد مشتقات المورفين .

- وما هي خصائص الآبومورفين ؟

- انه أسرع وأقوى عقار للقيء عرف الآن تتأثيره يظهر بعد دقائق قليلة.

- إذن فانه إذا تناول شخص جرعة كبيرة من المورفين وأعطي حقنة من هيدروكلوريد آبومورفين فما الذي يحدث ؟

- يبدأ بالقيء فوراً ويطرد الجسم المورفين .

- إذن لنفرض ان اثنين اشتركا في تناول « سندويتش » أو الشرب من ابريق الشاي نفسه وان احدهما أعطي حقنة من هيدروكلوريد آبومورفين فماذا تكون النتيجة على فرض ان الغداء او الشراب الذي شارك فيه الآخر كان محتوياً على مورفين ؟

— يخرج الاكل والشراب وكذلك المورفين في القيء الذي يحدث للشخص الذي حقن بالهيدروكلوريد آبومورفين .

— وهل تحدث عواقب سيئة لمثل ذلك الشخص ؟

— لا .

وفجأة ظهرت حركة اهتمام في قـــاعة المحكمة واصدر القاضي أمراً بالصمت .

* * *

— هل انت اميليا ماري سيدلي وتقيمين في رقم ١٧ تشارلس ستريت في بونامبا بأوكلاند ؟

— نعم .

— أتعرفين سيدة اسمها مسز دريبر ؟

— نعم لقد عرفتها منذ اكثر من عشرين عاماً .

— اتعرفين اسمها الحقيقي .

— نعم فقد حضرت زواجها .. اسمها ماري رايلي .

— هل هي من أبناء نيوزيلندا ؟

— لا .. لقد حضرت من انجلترا .

— هل كنت في المحكمة منذ بدء المحاكمة ؟

— نعم .

— أين رأيتها ؟

— رأيتها تشهد من فوق هذه المنصة .

— تحت أي اسم ؟

– جيسي هوبكنز .

– هل أنت واثقة تماماً أن هذه الجيسي هوبكنز هي المرأة التي تعرفينها باسم ماري رايلي أو دريبر ؟

– لا شك في ذلك .

– ومتى كانت آخر مرة رأيت فيها ماري دريبر قبل ان تريها هنا اليوم ؟

– منذ خمسة اعوام .. فقد ذهبت الى انجلترا ..

فقال سير اودين وهو ينحني للادعاء :

– الشاهدة أمامك ولك ان تسألها .

ووقف سير صامويل وقد ظهرت على وجهه الحيرة وقال :

– أظن انك يا مسز سيدلي قد تكونين مخطئة .

– أنا لست مخطئة .

– انا لست مخطئة .

– قد يكون سبب ذلك وجود بعض التشابه .

– أنا أعرف ماري دريبر معرفة كافية .

– ان الممرضة هوبكنز هي ممرضة حي رسمية .

– لقد كانت ماري دريبر ممرضة في مستشفى قبل زواجها .

– هل تدركين انك بذلك تتهمين شاهدة الادعاء بالكذب في شهادتها ؟

– انا ادرك ما اقول .

* * *

— انت ادوارد جون مـــارشال وقد عشت بضعة أعوام في اوكلاند بنيوزيلندا وتقيم الآن في رقم ١٤ رن ستريت في ديتفورد اليس كذلك ؟

— بلى هذا صحيح .

— هل تعرف ماري دريبر ؟

— لقد عرفتها عدة أعوام في نيوزيلندا .

— هل رأيتها في المحكمة هنا اليوم ؟

— نعم .. لقد اسمت نفسها هوبكنز . ولكنها مسز دريبر نفسها .

ورفع القاضي رأسه .. وقال في صوت واضح ثاقب :

— أظن أنه من المرغوب فيه أن تستدعى الشاهدة جيسي هوبكنز .

فترة صمت . ثم همهمت .

— سيدي القاضي .. لقد غادرت جيسي هوبكنز قـــاعة المحكمة منذ بضع دقائق .

* * *

هركيول بوارو :

ووقف بوارو على منصة الشهادة واقسم اليمين وفتل شاربه وانتظر وقـد مال رأسه الى اليسار ثم ذكر اسمه وعنوانه ومهنته .

— اتذكر هذا المستند يا مسيو بوارو ؟

— بالتأكيد .. انه الخطاب الذي كتبته اليزا رايلي زوجة المدعو جيرارد قبل وفاتها .

– كيف حصلت عليه ؟
– لقد أعطتني اياه الممرضة هوبكنز .
فقال سير ادوين :
– بعد استئذانك يا سيدي القاضي سأقرأ المستند بصوت مرتفع وبعد ذلك يمكن تقديمه المحلفين .

* * *

الفصل الخامس عشر

مرافعة الدفاع

« حضرات المحلفين .. ان المسؤولية تقع عليكم الآن .. ولكم ان تقولوا ما إذا كان من حق اليانور كارليسل ان تخرج من قاعة المحكمة حرة طليقة .. فاذا كنتم بعد الاثبات الذي سمعتوه تجدون انكم على يقين من ان اليانور كارليسل قد سممت ماري جيرارد فان من واجبكم عندئذ ان تعلنوا انها مذنبة .

ولكن إذا وضح لكم ان هناك دليلا قويا مثل السابق او اقوى منه يدين شخصاً آخر فان من واجبكم عندئذ « اطلاق سراح » المتهمة على الفور .

ولا بد انكم قد تحققتم الآن ان وقائع القضية مختلفة جداً عما كانت تبدو في بادىء الأمر .

فبالأمس بعد الشهادة والاثبات « الدراماتيكي » الذي قدمه لنا مسيو بوارو استدعيت شهوداً آخرين لأثبت بما لا يدع مجالاً للشك ان الفتاة ماري جيرارد كانت الابنة غير الشرعية للورا ويلمان ومتى ثبت هذا فان ذلك يعني ان أقرب قريب لمسز ويلمان لم تكن اليانور كارليسل ابنة اخيها ولكن ابنتها

غير الشرعية التي كانت معروفة باسم مـاري جيرارد ، وعلى ذلك فـان ماري جيرارد ورثت عند موت مسز ويلمان ثروة طائلة .. هذا ايهـا السادة لب الموضوع . مبلغ في حدود مائتي الف من الجنيهات ورثته ماري جيرارد ولكنها لم تكن تدرك تلك الحقيقة كما انها كانت أيضاً غير مدركة للشخصية الحقيقيـة للمرأة هوبكنز وقد تظنون أيها السادة انه ربما كان لدى ماري رايلي او ديبر سبب مشروع لتغيير اسمها الى هوبكنز فاذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تذكر لنا ذلك السبب ؟

ان كل ما نعرفه هو ما يلي : انه بايحاء من الممرضة هوبكنز كتبت ماري جيرارد وصية تركت فيها كل شيء لماري رايلي شقيقة اليزا رايلي ونحن نعرف ان مهنة الممرضة هوبكنز تمكنها من الحصول على المورفين وعلى الأبومورفين وانها كانت تدرك خصائص كل منهما .. يضاف الى ذلك انه قد ثبت ان الممرضة هوبكنز لم تقل الصدق عندما زعمت ان رسغها قد وخزته شوكة من شجرة ورد ليس بها اشواك .

فلماذا كذبت ان لم تكن تريد ان تقدم بسرعة سبباً لوجود العلامة الناجمة من ابرة الحقن .. وتذكروا ايضاً ان المتهمة قد اقسمت على انها عندما انضمت الى الممرضة هوبكنز في المطبخ وجدت انها كالمريضة وان وجهها كان به شحوب وهو أمر مفهوم اذ كانت قد تقيأت قيئاً شديداً .

وسأواجه أنظاركم الى نقطـة أخرى وهي ان مسز ويلمان لو كانت قـد عاشت اربعاً وعشرين ساعة اخرى لكتبت وصيتها ومن المحتمل جداً ان تلك الوصية كانت ستحوي شرطاً تهب به ماري جيرارد جزءاً طيباً من ثروتها ما دام الاعتقاد الذي كانت تؤمن به مسز ويلمان هو ان ابنتها غير المعترف بها ستكون اسعد اذا بقيت على حياتها التي نشأت عليها .

وليس من حقي أن أعلق على الشهادة ضد شخص آخر الا إذا ظهر لكم ان هذا الشخص الآخر كانت لديه ظروف متكافئة ودافع قوي لارتكاب الجريمة

ومن خلال وجهة النظر هذه أضع بين أيديكم يا حضرات السادة المحلفين القضية المقامة ضد اليانور كارليسل وقد انهارت تماماً .

* * *

من تلخيص القاضي للمحلفين عن القضية :

« .. يجب ان تكونوا على يقين تماماً من ان تلك المرأة فعلاً قد قامت بتقديم جرعة قاتلة من المورفين لماري جيرارد يوم ٢٧ من يوليو فاذا لم تكونوا مقتنعين يجب عليكم اطلاق سراحها » .

« وقد ذكر الادعاء ان الشخص الوحيد الذي كان بامكانه تقديم السم إلى ماري جيرارد هو المتهمة وقد حاول الدفاع ان يثبت انه كان هناك امكانيات أخرى فهناك النظرية القائلة بأن ماري جيرارد قد تكون انتحرت ولكن الدليل الوحيد الذي يؤيد تلك النظرية هو ان ماري جيرارد قد كتبت وصيتها قبيل موتها وليس هناك أي دليل على أنها كانت يائسة او غير سعيدة او في حالة عقلية تؤدي بها إلى إنهاء حياتها كما قيل ايضاً ان المورفين قد يكون قد قدمه في « السندويتشات » شخص دخل المطبخ خلال الفترة التي غابت فيها اليانور كارليسل . في هذه الحالة يكون السم مقصوداً به اليانور كارليسل ويكون موت ماري جيرارد قد حدث بطريق الخطأ ، اما الاحتمال الآخر الذي اشار اليه الدفاع فهو ان شخصاً آخر كانت لديه امكانيات مشابهة لتقديم سم المورفين وفي تلك الحالة يكون السم قد قدم في الشاي وليس في « السندويتشات » ويؤيد تلك النظرية الشاهد ليتلديل الذي استدعاه الدفاع والذي أقسم ان قصاصة الورق التي وجدت في المطبخ جزء من بطاقة توضع على انبوبة تحوي أقراص آبومورفين وهو عقار قوي للقيء وقد قدمت لكم نماذج من بطاقات العقارين وفي نظري أن « البوليس » أهمل اهمالاً شديداً في عدم التحقق من القصاصة قبل ان يسرع بالتقرير بأنها بطاقة مورفين .

وقد ذكرت الشاهدت هوبكنز ان شوكة من شجرة ورد بجوار الكوخ قد وخزت رسغها وقد فحص الشاهد وارجريف تلك الشجرة وقرر ان ليس بها أشواك وعليكم أن تقرروا ما الذي سبب العلامة على رسغ الممرضة هوبكنز ولماذا كذبت بشأنها .

فاذا كان الإدعاء قد أقنعكم ، ان المتهمة وحدها قد ارتكبت الجريمة فعليكم إذن أن تقرروا ان المتهمة مذنبة .

وإذا كانت النظرية الأخرى المقدمة من الدفاع ممكنة ومتفقة مع الوقائع فيجب « اطلاق سراح » المتهمة .

وأنا أطلب منكم أن تدرسوا قراركم في شجاعة وحكمة وألا تقيموا وزناً إلا للأدلة التي قدمت اليكم

وأحضرت اليانور مرة أخرى إلى « قاعة » المحكمة .

ودخل المحلفون .

— حضرات المحلفين . هل اتفقتم على قرار ؟

— نعم .

— أنظروا إلى السجينة في القفص وقولوا هل هي مذنبة أو غير مذنبة .

— غير مذنبة .

الفصل السادس عشر

أخرجوها من باب جانبي .. وكانت هناك بعض وجوه ترحب بهـا .. هناك رودي .. والمخبر ذو الشوارب الكبيرة .. ولكنها استدارت نحو بيتر لورد . وقالت :

ــ أريد ان اذهب الى مكان بعيد .

وكانت تجلس معه في السيارة الديملر التي كانت تغادر لندن مسرعـة .. لم يقل لها شيئاً وكانت تجلس في هذا السكون السعيد وكل دقيقة تمر .. تدنيها من حياة جديدة .. وهذا هو ما كانت تطلبه .. حياة جديدة .

وقالت فجأة :

ــ أريد أن أذهب إلى المكان هادىء .. ليس فيه أية وجوه .

فقال بيتر لورد في هدوء :

ــ ان كل شيء قد رتب أمره . أنت ذاهبة الى مصحة .. مكان هادىء ، وحدائق جميلة .. ولن يضايقك أحد .

فقالت في تنهد :

ــ نعم . هذا ما أرغب فيه

لقد رأت ان مهنته كطبيب هي التي جعلته يفهم . انه يعرف ومع ذلك

لم يضايقها .. أية سعادة تشعر بها وهي معه هنـا تبتعد عن كل شيء .. عن لندن . متجهة نحو مكان أمين .

لقد كانت تريد أن تنسى كل شيء يتصل بالحياة القديمة والعواطف القديمة .. لقد أصبحت مخلوقة ، جديدة ، غريبة بلا قوة على الدفاع ، تبدأ الحياة مرة أخرى من جديد .

والآن لقد أصبحا خارج لندن مخترقين الضواحي .

فقالت أخيراً :

– إنني لا أعرف كيف أشكرك .

فقال بيتر لورد :

– الشكر لمسيو بوارو .. ذلك الشخص الساحر .

ولكن اليانور هزت رأسها وقالت في عناد

– بل لك أنت .. أنت الذي أحضرته وجعلته يفعل ما فعل .

وابتسم بيتر وقال :

– لقد جعلته يفعل ذلك حقاً .

فقالت اليانور :

– هل كنت تعرف انني لم أرتكبها أو أنك لم تكن واثقاً ؟ .

فقال بيتر في بساطة :

– لم أكن قط واثقاً تماماً .

فقالت اليانور :

– ولهذا السبب كدت أقول في البداية انني مذنبة . لأنني كما ترى ، قد فكرت في الجريمة .. فكرت في ذلك يوم أن ضحكت وأنا واقفة خارج الكوخ .

فقال بيتر :

– نعم .. أعرف ذلك .

فقالت في عجب :

– يبدو الأمر الآن غريباً . ففي ذلك اليوم الذي أعددت فيه « السندويشات » كنت أفكر هل أضع لها السم لتموت ويعود رودي إلي ؟

فقال بيتر لورد :

– أن بعض الناس يشط بهم الخيال في مثل تلك المواقف .. وهو شيء غير ضار حقاً . ففيه ترويح عن المشاعر وتنفيس للعواطف المكبوتة .

فقالت اليانور :

– نعم . هذا حقيقي . لأن ذلك الشعور ذهب بعد ذلك فجأة وعندما ذكرت تلك المرأة شجرة الورد خارج الكوخ هدأت ثائرتي .

ثم أضافت وهي ترتعش .

– وبعد ذلك عندما رجعنا إلى غرفة الجلوس وكانت ماري تموت سألت نفسي هل هناك فرق كبير بين التفكير في الجريمة وارتكابها؟

فقال بيتر لورد :

– فرق كبير جداً فالتفكير لا يسبب أي ضرر .

فصاحت اليانور :

– أوه . أنت شخص مطمئن .

فقال بيتر لورد :

– لا هذا هو المنطق .

فقالت اليانور وقد اغرورقت عيناها بالدموع فجأة :

– في المحكمة كنت بين حين وآخر انظر اليك .. وكان ذلك يبث في الشجاعة .. فقد كان مظهرك كما عهدته وكما تعودت أن أراه ..

– أفهم ما تعنين ، عندما يكون المرء وسط كابوس فالأمل الوحيد بالنسبة له هو الشيء الذي تعوده وعلى كل حال فالأشياء المعتادة هي أفضل الأشياء .. وللمرة الأولى منذ ركبت السيارة أدارت رأسها ونظرت اليه وفكرت ..

– ان وجهه لطيف ومطمئن .

واستمرت السيارة في طريقها حتى وصلت إلى بوابة مرت منها لتسير في طريق ملتو حتى وصلت إلى منزل أبيض هادىء بجانب تل وهناك قال :

– ستكونين في أمان تام هنا ولن يضايقك أحد .

وفي حركة لا شعورية وضعت يدها على ذراعه وقالت :

– وأنت . هل ستحضر اقراني ؟ .

– طبعاً .

– كثيراً ؟ .

– ذلك يتوقف على رغبتك .

– إذن أرجوك أن تحضر . .

الفصل السابع عشر

قال بوارو :

– هأنتذا ترى يا صديقي أن الأكاذيب التي يقولها الناس هي أيضاً ذات نفع مثل الحقائق .

فسأله بيتر لورد :

– هل كذب عليك الجميع ؟

– أوه .. نعم لسبب أو لآخر .. والشخص الوحيد الذي كان من واجبه أن يقول لي الحقائق كان يمتاز بالحساسية من تلك الناحية .. هذا الشخص هو الذي حيرني أكثر من أي شخص آخر .

– اليانور .

– تماماً .. إذ أن الأدلة كانت تشير اليها وهي لا تحاول عمل أي شيء لاثبات برائتها بل إنها كانت تتهم نفسها باعتقادها أن الرغبة ، ان لم يكن الفعل نفسه ، هو ما يثقل ضميرها حتى انها كادت تعترف بالذنب في أول المحاكمة .

– أمر لا يصدق .

– ولكنه الواقع يا صديقي لأنها تحكم على نفسها بمقياس أدق من المقياس الذي يعيش به أكثر الناس .

– أنت على حق في ذلك .

وهنا مضى بوارو في حديثه فقال :

– من اللحظة الأولى التي بدأت فيها تحرياتي كان هناك دائماً احتمال كبير هو أن تكون اليانور قد ارتكبت الجريمة التي اتهمت بها ولكنني وفيت بوعدي لك وكشفت أن الاتهام قد يوجه بدرجة أكبر نحو شخص آخر .

– الممرضة هوبكنز ؟

– ليس في أول الأمر فقد جذب انتباهي روديك ويلمان إذ أنه كذب حين قال : أنه غادر انجلترا يوم ٩ من يوليو وعاد في اليوم الأول من أغسطس لأن الممرضة هوبكنز ذكرت عرضاً أن ماري جيرارد رفضت رودتك ويلمان مرتين احدهما في ميدنز فورد والثانية في لندن .. وأنت تذكر انني قلت لك ان لي صديقاً من اللصوص طلبت منه المساعدة وبذلك عرفت من جواز سفر روديك أنه كان في انجلترا من ٢٥ إلى ٢٧ من يوليو فلماذا كذب علي متعمداً وتلك الفترة التي غابتها اليانور عن المطبخ .. إذاً كان روديك ويلمان هو الشخص الذي وضع السم فان الضحية المقصودة كانت اليانور وليست ماري فأي دافع لدى روديك لقتل اليانور ؟ .

كان هناك دافع قوي هو أنها كتبت وصية وهبت له بها كل شيء ومن أسئلتي له علمت انه قد يكون عالماً بمحتويات الوصية .

فسأله بيتر لورد :

– ولماذا قررت انه غير مذنب ؟

– بسبب كذبة ثانية تمتاز بالغباء والحماقة إذ قالت الممرضة هوبكنز انها وخزت رسغها بشوكة شجرة ورد فذهبت لأرى تلك الشجرة فلم أجد بها أشواكاً .. إذن كذبت الممرضة كذبة لا معنى لها وهذا ما جذب انتباهي اليها فبدأت اتقصى عنها ، وفجأة تذكرت انها عرفت شيئاً خاصاً بماري جيرارد

وأنها ، بطريقتها الخاصة ، تبذل معظم اهتمامها حتى يعرفه الناس .
– لقد ظننت ان الأمر على عكس ذلك .

– في الظاهر نعم فقد كانت تؤدي ببراعة دور شخص يعرف سراً ولكنه لن يفشيه ثم عندما قابلت الممرضة أوبريان أيقنت انها قد استخدمتها ببراعة فتأكد ظني من أن للممرضة هوبكنز غرضاً آخر . .

وقارنت بين اكذوبتها وأكذوبة رودريك ويلمان وسألت نفسي هل لكل منهما سبب برىء يدفع إلى تلك الكذبة ففي حالة رودريك كان الايضاح انه خجل من عدم إمكانه المحافظة على وعده بالبقاء في الخارج فترة من الزمن لا يرى فيها ماري جيرارد وهذا ما جعله يكذب أما في حالة الممرضة هوبكنز فكنت كلما فكرت في كذبتها زادت شكوكي نحوها وهنا بدأت أسأل نفسي من الذي سرق منها المورفين ؟. هوبكنز .. من كان في إمكانه إعطاء مسز ويلمان المورفين ؟ هوبكنز .. ولكن لماذا تجذب الأنظار الى فقدان المورفين ؟ كانت هناك إجابة واحدة على ذلك السؤال في حالة ان تكون هوبكنز هي الجانية الا وهو لأن الجريمة الأخرى جريمة قتل ماري جيرارد ، كانت قد أعدت ورسمت وانه قد اختير لذلك ضحية وان تلك الضحية يجب ان يكون لديها الفرصة لأخذ المورفين .

عندئذ بدأ اللغز يتضح قليلا .. الخطاب الصادر من مجهول والذي أرسل إلى اليانور كان الغرض منه اساءة العلاقة بين اليانور وماري . حضور اليانور لمحاولة الحد من تأثير ماري على مسز ويلمان ثم واقعة غرام رودريك ويلمان بماري التي لم تكن في الحسبان ولكن سرعان ما استغلتها الممرضة هوبكنز ورأت هناك دافعاً كاملا للضحية اليانور

وهنا تساءلت ما السبب في الجريمتين وخاصة قتل ماري جيرارد ؟
هنا بدأت أجد ضوءاً ضئيلا هو أن لهوبكنز تأثيراً كبيراً على ماري وآية ذلك انها دفعتها إلى كتابة وصية ولكن التي تفيد من الوصية ليست هوبكنز

بل خالة لماري كانت تسكن في نيوزيلندا وهنا تذكرت ملاحظة عابرة من أحد سكان القرية اذ ذكر لي ان تلك الخالة كانت يوماً ممرضة في مستشفى . عندئذ لم يعد ذلك الضوء ضئيلاً ولذلك كانت زيارتي الثانية للممرضة هوبكنز ومثل كلانا دوره في حذق وفي النهاية زعمت انها قد اقتنعت بمحاوراتي واطلعتني على ما كانت تهدف اليه طوال الوقت الا وهو سر مولد ماري .. وعندئذ تيقنت يا صديقي لأن ذلك الخطاب فضحها .

– كيف ..

– لقد كان مكتوباً على الغلاف :

« يرسل الى ماري بعد موتي » وليس يسلم لماري .. فعرفت ان هناك ماري أخرى وانها ماري رالي أخت اليزا . والواقع ان هوبكنز لم تعثر على هذا الخطاب في الكوخ بين أوراق جيرارد ، ولكنه كان معها منذ سنوات وأنها تسلمته في نيوزيلندا حيث أرسل اليها بعد موت أختها ، وأن هوبكنز هي خالة ماري جيرارد ، وبالرجوع إلى بوليس نيوزيلندا عرفت أن الممرضة رالى كانت تعنى بسيدة عجوز كان موتها الفجائي موضع دهشة طبيبها المعالج ثم ظهر أنها خصت رالي في وصيتها ببعض المال .. كما عرفت أن زوج رالي هذه أمن على حياته ثم مات ولكن لسوء حظها نسي الزوج أن يرسل (الشيك) للشركة . وكذلك تروج اشاعات عن حوادث قتل من هذا القبيل حول هذه الممرضة . وأخيراً قدمت إلى هذه البلاد واتخذت اسم هوبكنز (وهو اسم زميلة سابقة لها ماتت في الخارج) ويبدو أنها لم توفق في ابتزاز النقود بالتهديد من مسز ويلمان . ولما اشتد المرض بالأخيرة وطلبت أن تكتب وصيتها حرصت هوبكنز على أن تموت السيدة دون أن تكتبها حتى تكون الوارثة ابنتها غير الشرعية . وكانت قد وثقت علاقتها بماري جيرارد واستطاعة أن تخضعها لنفوذها فأصبح كل ما عليها هو أن تحرض الفتاة على كتابة وصية تترك فيها كل ما تملك لخالتها ثم تقتلها في الوقت المناسب . واستعانت بالبومورفين

لانقاذ نفسها من الشاي المسمم الذي أعدته بيدها . ويبدو أنها كانت تزمع دعوة اليانور إلى كوخها فجاءت هذه وهيأت لها الفرصة .

ثم التفت إلى الدكتور وقال له باسماً :

– وقد حاولت أنت بدورك أن تكذب علي بقصة السيارة وقصة علبة الثقاب فقد حملت البسياني على القول بأنه رأى سيارة في الطريق ثم ادعيت أنها لم تكن سيارتك وإنما سيارة شخص غريب . والآن ماذا كنت تصنع في ذلك الصباح .

– علمت أنها مضت إلى المنزل فأردت أن أراها وقد شاهدتها من النافذة وهي تقطع السندويتش وظللت أراقبها إلى أن اختفت .

– هل أحببت اليانور حباً جارفاً ؟

– من اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليها .

– انها في حاجة اليك .

– لقد دعتني إلى زيارتها كثيراً . قل لي هل كانت هوبكنز تنوي حقيقة كشف الستار عن علاقة ماري جيرارد الحقيقية بمسز ويلمان .

– هو ذلك يا أبله . ثم إذا ثبت أنها الوارثة الوحيدة لها انحدرت الثروة إلى ماري رالي . أي إلى الممرضة هوبكنز نفسها خالة القتيلة .

– تمت –

المكتبة الثقافية

بيروت - لبنان